

بلاغت العرب

في القرن العشرين

وهي

شذرات مختارة من أقلام رسل البلاغة العربية في أمريكا

جبران خليل جبران

أمين الريحاني ، ميخائيل نعيمة ، ايليا ابو ماضي ، الياس فرحات

عني بجمعها

عجبي الدين رضا

Rs 9.00/-

نطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية

بالخرقش بمصر رقم ٣٥

بلاغت العرب

في القرن العشرين

وهي

شذرات مختارة من أقلام رسل البلاغة العربية في أمريكا

(جبران خليل جبران)

أمين الريحاني ، ميخائيل نعيمة ، اينليا ابوماضي ، الياس فرحات

عنى بجمعها

محيي الدين رضا

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يهمني أن أقدم هذا الكتاب لكل متعلم يود أن يكون كاتباً بليغاً ، ليتخذ هذه الأساليب الطريفة اماماً له يأتى بها ويجهده أن يحاكيها أسلوباً وتوقيعاً .

هذه الأساليب سيكون لها المستقبل الزاهر ، وسينبلج يشيوعها عصر ذهبي مشرق ، حافل بأنواع الجمال والكمال .

نستطيع أن نسمي هذه المناحي الكتابية ، والطرق الانشائية بـ (الأساليب الحية) لأنها حقيقة تحيي في نفس قارئها روح الجمال ، وعظمة الابداع ، وجلال المقصد .

ها أنت أيها القارئ الكريم ستقلب صفحات كتابنا وتشعر في قراءته بتلف رائد ، وشغف لا مزيد عليه ، ولكن قف بربك ولو هنيئة صغيرة قبل أن تأخذ بتذوق جمال هذه الأساليب ، قف لا أخبرك أن هذه الكتابات لم تكتب لتكون سلوة لك تمر عليها بنظرك دون أن تحرك لسانك بتلاوتها ، إنما هي أشعار منشورة ومنظومة أطلب منك بحرمة أصحابها أن لا تقرأ قطعة منها الا بالترتيل الذي يناسبها ويلائم نفسك فيملاًها جمالاً وجلالاً .

ج -

ترنم ما شئت عند قراءتها حتى تشارك أصحابها بشعورهم وتستأنس بمجديتهم . استصحب هذا الكتاب عند ما تم بالذهاب للرياضة وهناك عند ما تجلس على ضفاف النيل أو في أحد المتنزهات العامة أو الخاصة فك عقال الهيبة والوجل وترنم بما حوى هذا السفر النفيس ترنم البلبل الغريد وشارك أصحابها ولو تقليداً حتى تكتننه سر نبوذهم وتفوقهم . فتعلم أنهم انما كتبوا بعد أن ذاقوا مرارة الحياة ولذاتها وخبروها خبرة رفعتهم الى أوج من السمو لا تستطيع أن تحلق في سمائمها الا اذا سرت على طريقتهن المثلى .

لا أنكر أن بعض رجال الأدب العربى سبق لهم أن ساروا على هذه الأساليب وأخص منهم بالذكر أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فمن ذا الذى يقرأ رسالة من رسائله أو خطبة من خطبه ولا يدهش لجمال أسلوبه البياني ، ولو تأملنا لأسلوب القرآن الكريم لوجدناه أمام كل مؤتم بالأساليب الحية لأنه موقعاً توقيعاً موسيقياً ينتهى عند كل وقفة منه بخاتمة لها جرس يأخذ الألباب بروعة جماله وجلاله .

أريد أن أقول اننى لم أجمع فى مختاراتى هذه عقيدة سياسية أو مذهباً دينياً أو مبدأً كفرياً انما كان غرضى الوحيد هو جمال الأسلوب وطريقة التعبير لا غير فليرح النقدة أنفسهم

ولينظروا الى الكتاب كما نظرت اليه .

أما الطريقة التي سرت عليها في جمع المختارات فهي الطريقة التي ارتاحت لها نفسي فأنا لم أجمعها مرتبة ترتيباً مقسماً لنظم ونثر ولم أراع الترتيب على الحروف لأنني لا أريد أن أجعل هذه المختارات قاموساً أدبياً ولكن أريه أن تكون خير كتاب أدبي أقدمه لكل متعلم ومتعلمة .

ولا يفوتني أن أقدم عظيم تشكراتي لجناب الدكتور شخاشيري لأنه هو الذي يسر لي جمع هذه المختارات بإعارته لي مجلة الفنون التي تصدر في نيويورك فقد كانت لي المعين الاكبر الذي استقيت منه هذه الشذرات العذبة .

ولم يخل كتابنا من بعض أغلاط مطبعية على شدة عنايتنا وعناية المطبعة بذلك ولكنها قليلة والله الحمد

محبي الدين رضا

فسطاط مصر في ٧ المحرم سنة ١٣٣٩

جبران خليل جبران

ابتدع جبران لنفسه طريقة في الكتابة اكتسب
بها إعجاب الجمهور وامتلاك قلوب القراء بموضوعاته الشائقة
فتحدثه في أسلوبه كثيرون من الكتاب المعاصرين ولكن
شأن ما بين الثريا والثرى

وُلد جبران سنة ١٨٨٣ في بشرى من أعمال لبنان
وترعرع في شمالى لبنان تحت سمائه الحرة وفوق أنقاض
العصور السالفة . ثم تنامذ في مدرسة الحكمة في بيروت
فتلقن فيها العربية . وهناك بدأ قامه السيال باظهار ما تكنه
نفسه الكبيرة من أسرار البلاغة والبيان . ولم يلبث بعد
خروجه من المدرسة أن هاجر الى باريس فأقام فيها أشهراً .
ثم هاجر الى الولايات المتحدة فمقطن بوسطن مدينة العلم
زمناً اشتغل فيه بالكتابة والتصوير . ثم عاد الى باريس
سنة ١٩٠٨ لينهى فيها دروسه الفنية فأقام فيها ثلاث سنوات
حاز في آخرها شهادة الامتياز من كلية الفنون الافرنسية
(١ - مختارات)

مبرزاً على أربعائة من رفاقه المصورين المختلفي الجنسية .
وقبات رسومه في المعرض الأسمى السنوى . وسمى عضواً
في جمعية الفنون الافرنسية . ونال عضوية الشرف في جمعية
المصورين الانكليزية . ثم عاد الى الولايات المتحدة واتخذ
نيويورك مسكناً له . وهو الآن عضو في جمعيات فنية
وشعرية عديدة . وله من المؤلفات المطبوعة « نبذة في
الموسيقى » و « عرائس المروج » و « الارواح المتمردة »
و « الاجنحة المتكسرة » و « دمة وابتسامة » و « كتاب
العواصف » و « المصطفى » و « المجنون بالانكليزية وقد
عربيه » و « المواكب » وله ديوان شعر طلى نفيس كله
عواطف وعواصف روحية .



هذه كلمة صغيرة عن تاريخ جبران واليك ما كتبه
بنفسه عن تصوراتاه وحياته لروحية : —

يوم مولدى

كتبت في باريس في ٦ كانون الاول سنة ١٩٠٨

في مثل هذا اليوم ولدتنى أمى
في مثل هذا اليوم ، منذ خمس وعشرين سنة ، وضعتنى
السكينة بين أيدي هذا الوجود المملوء بالصراخ والنزاع
والعراك

ها قد سرت خمساً وعشرين مرة حول الشمس ، ولا
أدرى كم مرة سار القمر حولي ، لكننى لم أدرك بعد
أسرار النور ، ولا عرفت خفايا الظلام

قد سرت خمساً وعشرين مرة مع الأرض والقمر
والشمس والكواكب حول الناموس الكلى الأعلى ،
ولكن هو ذا نفسى تهمس الآن أسماء ذلك الناموس مثلاً
يرجع الكهوف صدى أمواج البحر . فهي كائنة بكيانه ، ولا
تعلم ماهيته ، وتترنم بأغاني مده وجزرده ولا تستطيع ادراكه
منذ خمس وعشرين سنة خطتنى يد الزمان كلمة في

كتاب هذا العالم الغريب الهائل ، وها أنذا كلمة مبهمة ،
ملتبسة المعاني ، ترمز نارة الى لا شيء ، وطوراً الى أشياء
كثيرة

ان التأملات والأفكار والتذكرات تتراحم على
نفسى فى مثل هذا اليوم من كل سنة ، وتوقف أمانى
مواكب الأيام الغابرة ، وترينى أشباح الليالى الماضية ،
ثم تبددها كما تبدد الرياح بقايا الغيوم فوق خط الشفق ،
فتضمحل فى زوايا غرفتى اضمحلال أناشيد السواقي فى
الأودية البعيدة الخالية

فى مثل هذا اليوم من كل سنة تجيء الأرواح التى
رسمت روحى متراكضة نحوى من جميع أطراف العالم ،
وتحيط بى مرتلة أغاني الذكرى المحزنة ، ثم تتراجع على مهل
وتختفي وراء المرثيات ، كأنها أسراب من الطير هبطت على
يسدر مهجور فلم تجد بذوراً تلتقطها ، ففرقت هنيهة ثم
طارت سابحة الى مكان آخر

فى هذا اليوم تنتصب أمانى معانى حياتى الغابرة ،

كانها مرآة ضئيلة أنظر فيها طويلا فلا أرى سوى أوجه
السنين الشاحبة كأوجه الأموات ، وملامح الآمال
والأحلام والأمانى المتجمدة كلامح الشيوخ ، ثم أغمض
عيني وأنظر ثانية في تلك المرأة . فلا أرى غير وجهي . ثم
أحدق بوجهي فلا أرى فيه غير الكتابة ، ثم أستنطق الكتابة
فأجدها خرساء لا تتكلم ، ولو تكلمت الكتابة لكانت
أكثر حلاوة من الغبطة

في الخمس والعشرين سنة الفارقة قد أحببت كثيرا .
وكثيرا ما أحببت ما يكرهه الناس وكرهت ما يستحسنونه
والذي أحببته عند ما كنت صبيا ما زلت أحبه الآن .
والذي أحبه الآن سأحبه الى نهاية الحياة ، فالحبة هي كل ما
أستطيع أن أحصل عليه ، ولا يقدر أحد أن يفقدني إياه
قد أحببت الموت مرات عديدة ، فدعوته بأسماء
عذبة وتشبثت به سرا وعلنا . ولئن لم أسل الموت ولا
تقصت له عهدا ، فأننى صرت أحب الحياة أيضا . فالموت
والحياة قد تساويا عندي بالجمال ، وتضارعا باللذة ، وتشاركا

بانماء شوق وحنيني ، وتساهما محبتي وانعطافي

وقد أحبيت الحرية فكانت محبتي تنمو بنمو معرفتي
عبودية الناس للجور والهوان ، وتتسع بالتسع ادراكى
خضوعهم للأصنام المخيفة التى نحتها الاجيال المظامة، ونصبتها
الجهالة المستمرة ، ونعمت جوانبها ملامس شفاه العبيد .
لكننى كنت أحب هؤلاء العبيد بمحبة الحرية ، وأشفق
عليهم ، لانهم عريان يقبلون أحناء الضواري الدامية ولا
يمصرون ، ويمتصون لهات الافاعى الخبيثة ولا يشعرون
ويحفرون قبورهم بأظافرهم ولا يعلمون . قد أحبيت الحرية
أكثر من كل شئ ، لاننى وجدت بها فتاة قد أضناها
الانفراد ، وأتحاها الاعتزال ، حتى صارت خيالا شفافا يمر
بين المنازل ، ويقف فى منعطفات الشوارع . وينادى عابري
الطريق ، فلا يسمعون ولا يلتفتون

وفى الخامس والعشرين سنة قد أحبيت السعادة مثل
جميع البشر ، فكنت أستيقظ كل يوم وأطلبها كما يطلبونها
لكننى لم أجدها قط فى سبيلهم ، ولا رأيت أثر أقدامها

على الرمال المحيطة بقصورهم ، ولا سمعت صدى صوتها
خارجاً من نوافذها كلها . ولما انقردت بطلبها سمعت
نفسى تهمس فى أذنى قائلة : « السعادة صبية تولد وتحيا فى
أعماق القلب ولن تجىء اليه من محيطه . » ولما فتحت قلبى
لكى أرى السعادة وجدت هناك مرآتها وسريرها
وملابسها . لكننى لم أجدها

وقد أحبت الناس — أحبتهم كثيراً — والناس فى
شرعى ثلاثة :

واحد يلعن الحياة ، وواحد يباركها . وواحد يتأمل
فيها : فقد أحبت الاول لتعاسته ، والثانى لسماحته ، والثالث
لمداركه

هكذا انقضت الخمس وعشرون سنة . وهكذا
ذهبت أيامى وليالى متسارعة . متتابعة ، متساقطة من حياتى .
ثمما تتناثر أوراق الشجر أمام رياح الخريف

واليوم . قد وقفت متذكراً ، وقوف سائر متعب بلغ
منتصف العقبة ، أنظر إلى كل ناحية فلا أرى لماضى حياتى

أثراً أستطيع أن أومئ إليه أمام وجه الشمس قائلاً :
 « هذالى » ولا أجده لفصول أعوامى غلة سوى أوراق
 مخضبة بتضرات الحبر السوداء ورسوم غريبة مبعثرة مملوءة
 خطوطاً وألواناً متباينة متناسقة . فى هذه الأوراق المنثورة
 والرسوم المبعثرة ، قد كفنت ودفنت عواطفى وأفكارى
 وأحلامى . مثلاً يدفن الزارع البذور فى بطن الأرض ،
 ولكن الزارع الذى يخرج إلى الحقل ويأق البذور بين ثنايا
 التراب يعود إلى بيته فى المساء آملاً راجياً منتظراً أيام
 الحصاد والاستغلال

أما أنا فقد طرحت حبات قلبى بلا أمل ، ولا رجاء ،
 ولا انتظار

والآن ، وقد بلغت هذه المرحلة من العمر ، فترأى
 لى الماضى من وراء ضباب التنهيد والامسى ، وبان لناظرى
 المستقبل من وراء نقاب الماضى ، أقف وأنظر إلى الوجود
 من خلال بلور نافذتى ، وأرى وجود الناس وأسمع أصواتهم
 متصاعدة إلى الفضاء ، وأعى وقع أقدامهم بين المنازل ،

وأشعر بلامس أرواحهم وتوجات أميالهم ونبضات قلوبهم
أنظر ، فأرى الأطفال يلعبون ويتراكضون ويذرون
التراب بعضهم في وجوه بعض ضاحكين مقهقهين ، وأرى
الفتيان يسرون بعزم رافعين رؤوسهم كأنهم يقرأون قصيدة
الشباب مكتوبة بين حواشي العيون المبطنة بأشعة الشمس ،
وأرى الصبايا يخطن ويتثنين كالأغصان ويتبسمن كالازهار
وينظرن الى الفتيان من وراء جفون ترتعش بالميل
والانعطاف ، وأرى الشيوخ يتشون على مهل محدودى
الظهور ، متوكئين على العصي محدقين بالأرض كأنهم
يبحثون بين دقائق التراب عن جواهر أضاعوها . أقف
بجانب نافذتى وأنظر متأملا بجميع هذه الصور والاشباح
الساكنة بمسيرها المتظاهرة بديبها في شوارع المدينة وأزقتها ،
ثم أنظر متأملا بما وراء المدينة ، فأرى البرية بكل ما فيها
من الجمال الرهيب ، والسكنة المتكامة ، والتلول الباسقة ،
والأودية المنخفضة ، والأشجار النامية ، والأعشاب المتمايلة ،
والازهار المعطرة ، والأنهار المترنمة ، والاطيار المغردة ، ثم

أنظر الى ما وراء البرية . فأرى البحر بكل ما فى أعماقه من
من الغرائب والعجائب والمدافن والاسرار ، وما على سطحه
من الامواج المزبدة ، الغضوبة ، المتسارعة ، المتهاونة ،
والابخرة المتصاعدة ، المتبددة ، المتساقطة ، ثم أنظر متأملاً
بما وراء البحر ، فأرى الفضاء غير المنتهى بكل ما فيه من
العوالم السابجة ، والكواكب اللامعة ، والشموس ،
والاقدار ، والسيارات والثوابت ، وما بينها من الدوافع
والجاذب المتسائلة ، المتنازعة . المتولدة ، المتحولة ، المتماسكة
بناموس لا حد له ولا مدي ، الخاضعة لشرع كلئ ليس
لبدئه ابتداء ولا لنهايتيه نهاية . أنظر وأتأمل بجميع هذه
الاشياء من خلال بلور نافذتى فأنسى الخمس والعشرين وما
جاء قبلها من الاجيال وما سيأتى بعدها من قرون ، ويضئ
لى كيانى ومحيطى بكل ما أخفاه وأعلنه كذرة من تهيدة
طفل ترتجف فى خلاء أزلى الاعماق ، سرمدى العلو ، أبدى
الحدود . لكنى أشعر بكيان هذه الذرة - هذه النفس -
هذه الذات التى أدعوها « أنا » . أشعر بجراكتها وأسمع

صنيجيها . فهي ترفع الان أجنتها نحو الغلاء ، وتمد يديها
الى كل ناحية . وتمايل مرتعشة في مثل اليوم الذي أبتها
لنوجود . وبصوت متصاعد من قدس أقداسها ، تصرخ
قائلة : « سلام أيتها الحياة . سلام أيتها اليقظة ، سلام أيتها
الرؤيا ، سلام أيها النهار الغامر بنورك ظامة الارض ،
وسلام أيها الليل المظهر بظلامك أنوار السماء ، سلام أيتها
الفصول ، سلام أيها الربيع المعيد شبيهة الارض ، سلام أيها
الصيف المذيع مجد الشمس ، سلام أيها الخريف الواهب
ثمار الاتعاب وغلة الاعمال ، سلام أيها الشتاء المرجع
بثوراتك عزم الطبيعة ، سلام أيتها الاعوام الناضرة ما أخفته
الاعوام ، سلام أيتها الاجيال المصالحة ما أفسدته الاجيال ،
سلام أيها الزمن السائر بنا نحو الكمال . سلام أيها الروح
الضابط أعنة الحياة ، المحجوب عنا بنقاب الشمس ، وسلام
لك أيها القلب ، لانك تستطيع أن تهذب بالسلام وأنت
مغمور بالدموع ، وسلام لك أيتها الشفاه ، لانك تملظفين
بالسلام وأنت تذوقين طعم المرارة »

بالأمس

كان لي بالأُمس قلب فقضى وأراح الناس منه واستراح
 ذاك عهد من حياتي قد مضى بين تشبيب وشكوى ونواح
 انما الحب كنجم في الفضاء نوره يُجى بأنوار الصباح
 وسرور الحب وهم لا ي طول وجمال الحب ظل لا يقيم
 وعهود الحب أحلام تزول عندما يستيقظ العقل السليم



كم سهرتُ الليل والشوق معي
 ساهر أرقبه كي لا أنام
 وخیال الوجد يحى مضجعی
 قائلًا « لا تدن : فأنوم حرام »
 وسقامی هامس في مسمعی
 « من يريد الوصل لا يشكو السقام »
 تلك أيام تقضت ، فابشری
 يا عیونی ، بلقا طیف الکرى

واحذري يا نفس ، ألا تذكرى

ذلك العهد وما فيه جرى

* *

كنتُ أن هبَّتْ نسيات السحر أتأوى راقصاً من مرعى
وإذا ما سكب الغيم المطر خلته الراح فاملى قدحى
وإذا البدر على الافق ظهر وهى قربى صحتُ «ها! يستحي»
كل هذا كان بالامس، وما كان بالامس تولى كالضباب
ومحا السلوان ماضى كما تفرط الانفاس عُقداً من حجاب

* *

يا بنى أمي إذا جاءت سعاد تسأل الفتيان عن صب كئيب
فاخبروها أن أيام البعاد اخمدت من مهجتي ذاك الالهيب
ومكان الجمر قد حل الرماد ومحا السلوان آثار النحيب
فاذا ما غضبت لا تغضبوا وإذا ناخت فكونى مشفقين
وإذا ما ضحكت لا تعجبوا ان هذا شأن كل العاشقين

* *

ليت شعري: هل لئامس رجوع أو معاد لحبيب وأليف ؟

هل لنفسي يقظة بعد الهجوع لتريني وجه ماضٍ أخيف ؟
 هل يعني أيلول ^(١) أنغام الربيع وعلى أذنيه أوراق الخريف ؟
 لا ، فلا بعث لقلبي أو نشور لا ، ولا يخضر عود الحمل
 ويد الحصاد لا تحيي الزهور بعد أن تبرى بحد المنجل

*
 *

شاخت الروح بجسمى وغدت
 لا ترى غير خيالات السنين
 فإذا الأميال في صدرى مشت
 فبعكاز اضطباري تستعين
 والتوت منى الالمانى وأنحنت
 قبل أن أبلغ حسد الأربعين
 تلك حالى فإذا قالت رحيل
 «ماعسى حل به ؟» قولوا «الجنون»
 وإذا قالت «أيشفى ويروى»
 ما به ؟ «قولوا» سنشفيه المنون

مناجاة ارواح

استيقظي يا حبيبتي ! استيقظي لأن روجي تناديك
من وراء الأبحار الهائلة ، ونفسي تمد جناحها نحوك فوق
الأمواج المزبدة الغضوبة . استيقظي ، فقد سكنت الحركة
وأوقف الهدوء ، ضجة سنابك الخيل ووقع أقدام العابرين
وعائق النوم أرواح البشر ، فبقيت وحدي مستيقظا ،
لأن الشوق ينتشاني كلما أغرقني النعاس ، والمحبة تدني
إليك عندما تقصيني الهواجس ، قد تركت مضجعي
يا حبيبتي خوفاً من خيالات السلو المختبئة بين طيات اللحف
ورميت بالكتاب ، لأن تأوهي قد أباد السطور من
صفحاته ، فأصبحت خالية بيضاء أمام عيني ، استيقظي :
استيقظي يا حبيبتي واسمعي .

— ها أنذا يا حبيبي قد سمعت نداءك من وراء الأبحار
وشعرت بتلامس جناحيك ، فانتبهت وتركت مخدعي
وسمرت على الأعشاب ، فتميلات قدمي وأطراف ثوبي من

ندى الليل : ها أنا واقفة تحت أغصان اللوز المزهرة أسمع
نداء نفسك يا حبيبي :

- تكلمي يا حبيبتي ! ودعي أنفاسك تسيل مع الهواء
القادم نحوى من أودية لبنان . تكلمي ، فلا سامع غيري ،
لأن الظلمة قد دحرت جميع المخلوقات الى أوكارها ، والنعاس
أسكر سكان المدينة وبقيت وحدي صاحياً



- قد نسجت السماء نقاباً من أشعة القمر وألقته على
جسد لبنان يا حبيبي :

- قد حاكت السماء من ظلمة الليل رداءً كثيفاً مبطناً
بدخان المعامل وأنفاس الموت وسترت به أضلع المدينة
يا حبيبتي :



- قد رقد سكان القرى في أكواعهم القائمة بين
أشجار الجوز والصفصاف وتساقت نفوسهم نحو مراسح
الأحلام يا حبيبتي :

— قد أنأخت أحمال الذهب قامات البشر ، وأوهنت
عقبات المطامع ركبهم ، وأثقلت المتاعب أجفانهم ، فارتموا
على الفرش وأشباح الخوف والقنوط تعذب قلوبهم
يا حبيبتي



— قد سرت في الأودية خيالات الأجيال الغابرة ،
وحامت على الروابي أرواح الملوك والأنبياء ، فانتنت
فكرتي نحو مسارح الذكرى وأرتنى عظام الكلدانيين
ونخامة الاشوريين ونبالة العرب

— قد سرت في الأزقة أرواح اللصوص القاتمة ،
وظهرت من بين شقوق النوافذ رؤوس أفاعى الشهوات ،
وجرت في منعطفات الشوارع أنفاس الأمراض ممزوجة
بنهاث المنيا ، فأزاحت الذكرى ستائر النسيان وأرتنى مكاره
صادوم وآثام عاموره



— قد تمايلت الأغصان يا حبيبي وتحالف حفيفها مع
خريز ساقية الوادي ورددت على مسامعي نشيد سليمان
ورنات قيثارة داود وأغاني الموصلي

— قد ارتعشت نفوس أطفال الحى وأقلقهم الجوع ،
وتسارعت تنهدات الأمهات المضطجعات على أسرة الهم
والياس ، وأراعت أحلام العوز قلوب الرجال المقعدين ،
فسمعت نواحا مرأً وزفيراً متقطعاً يملأ الضلوع ندبا ورناء

*
* *

— قد فاحت روائح النرجس والزنبق وعانقت عطر
الياسمين والبيلسان ثم تمازجت بانفاس الارز الطيبة وسرت
مع تموجات النسيم فوق الطلول المتشعبة والممرات الملتوية ،
فلاّت النفس انعطافاً ومنحتها حينئذ الى الطيران

— قد تصاعدت روائح الازقة الكريهة واختمرت
بجراثيم العلل ، ومثل أسهم دقيقة خافية قد خدشت الحس
وسممت الهواء

*
* *

— ها قد جاء الصباح يا حبيبي وداعبت أصابع اليقظة
أجفان النيام وفاضت الأشعة البنفسجية من وراء الجبل
وأزالت غشاء الليل عن عزم الحياة ومجدها ، فاستفاقت
القرى المتكئة بهدوء وسكينة على كتفي الوادي وترنمت
أجراس الكنائس وملأت الأثير نداء مستجبا معلنة بدأ
صلاة الصباح ، فأرجعت الكهوف صدى رنينها ، كأن
الطبيعة بأسرها قامت مصلية ، قد غادرت العجول مرابضها
وتركت قطعان الغنم والماعز حظائرها واثنت نحو الحقول
ترتعى رءوس الأعشاب المتلمعة بقطر الندى ومشى أمامها
الرعاة ينفخون الشبابات ووراءها الصبايا التاهلات مع
العصافير بقدم الصباح

— قد جاء الصباح يا حبيبتى وانبسطت فوق المنازل
المكردة أكف النهار الثقيلة ، فأزيمحت الستائر عن
النوافذ وانفتحت مصاريع الابواب ، فبان الوجود الكالحة
والعيون المعروكة ، وذهب التعساء الى المعامل وداخل
أجسادهم يقطن الموت في جوار الحياة ، وعلى ملامحهم

للتقبضة قد بان ظل القنوط والخوف ، كأنهم متقادون
قهرًا الى عراك هائل مهلك . ها قد غصت الشوارع
بالمسرعين الطامعين وامتلاً الفضاء من قلقلة الحديد ودوى
الدواليب وعويل البخار وأصبحت المدينة ساحة قتال يصرع
فيها القوى الضعيف ويستأثر الغني المظلوم باتعاب الفقير
المسكين



— ما أجمل الحياة ههنا يا حبيبي ، فهي مثل قلب الشاعر
المملوء نوراً ورقة
— ما أقسى الحياة ههنا يا حبيبتى ، فهي مثل قلب المجرم
المفعم بالإثم والخاوف

يا صاحبي

يا صاحبي - أنا لست كما أظهر لديك ، وما مظاهري
سوى رداء دقيق الصنع محوك من خيوط
التساهل والحسنى ألثف به ليدراً عنى تطفلك
ويحميك من إهمالي . أما الذات الخفية التي
أدعوها « أنا » فهي سر عميق غامض مستتر
وراء جدران السكون وسيبقى غامضاً مستتراً
معتصماً إلى الأبد

يا صاحبي - أود أن لا تصدق ما أقول وأن لا تثق بما
أفعل لأن كلماتي ليست سوى صدى أفكارك
وما تنى ليست سوى رسوم آمالك

يا صاحبي - لما تقول لي « الريح تهب شرقاً » أجيبك
بقولي « أي » فهي « تهب شرقاً » لأنني
لا أريد أن تعلم أن أفكارى لا تسبح مع

الريح بل تهبط وتتصاعد على أمواج البحر
وأنت قاصر بطبيعة أفكارك المستسلمة الى
الأرياح عن ادراك طبيعة أفكارى المرفرفة
فوق البحار ، وأنا لا أستطيع أن أبين لك
كنه تلك الافكار ، ولو استطعت لما فعلت
لانى أوثر أن أسبح فى البحر وحدى

يا صاحبي - لما تكون فى ظهيرة نهارك أكون فى
منتصف ليلى ، ومع ذلك فأنا أحدثك من
وراء حجاب الدجى عن الشمس فى الطفل
وعن أشعتها الذهبية الراقصة فوق قمم الجبال
وعن الظل الظليل الذى يسترق خطوته فى
الآودية الخضراء . أحدثك عن هذه الامور
لانى لا أستطيع أن تسمع ألحان ظمئى ولا
تقدر أن ترى خفقان جناحى بين
الكواكب . وأنا لا أريدك أن تسمع أو
ترى لانى أوثر أن أبقى مع الليل وحدى .

ياصاحبي — لما تصعد أنت الى جنتك أنحدر أنا الى
 جحيمي . وحتى في جحيمي أسمعك تناديني
 من وراء الهاوية الهائلة التي فصلنا قائلًا
 « ياصاحبي — يارفيقي » فأجيبك هاتفاً
 « يارفيقي — ياصاحبي » لانني أضن
 بجحيمي من أن يقع عليه بصرك وأخشى من
 لهيبه أن يلتهم النور في عينيك ومن دخانه
 أن يسد منخريك ، أما أنا فمولع بجحيمي
 وأوثر أن تبقى بعيداً عنه لانني أريد أن أكون
 في الجحيم وحدي

ياصاحبي — أنت تعشق الحق والجمال والفضيلة . وأنا
 لأجلك أقول أنه يليق بالانسان أن يحب
 هذه الاشياء . ولكنني أضحك في قلبي من
 حبك — وأستر عنك ضحكي لانني أفضل أن
 أضحك وحدي

ياصاحبي — أنت صديق وحكيم ومترو ، لا بل أنت

كامل . وأنا أحاول أن أخاطبك بحكمة وترو،
غير أنني مجنون منجذب عن العالم الذي
تقطنه أنت الى عالم غريب وبعيد، لكنني
أستر عنك جنوني لانني أفضل أن أكون
مجنوناً وحدي

يا صاحبي — أنت لست صاحبي فكيف أجعلك أن تدرك
ذلك ؟ طريقك ليست طريقى ولكننا نسير
معاً يدًا بيد

مات أهلى

مات أهلى وأنا على قيد الحياة أندب أهلى فى وحدتى
وانفرادى

مات أحبابى . وقد أصبحت حياتى بعدهم بعض
مصابى بهم

مات أهلى وأحبابى وغمرت الدموع والدماء هضبات
بلادى وأنا ههنا أعيش مثلاً كنت عائشاً عند ما كان أهلى
وأحبابى جالسين على منكبى الحياة وهضبات بلادى مغمورة
بنور الشمس

مات أهلى جائعين ، ومن لم يمت منهم جوعاً قضى بحد
السيف ، وأنا فى هذه البلاد القصية أسير بين قوم فرحين
مغبوطين يتناولون المأكـل الشهية والمشارب الطيبة
وينامون على الأسرة الناعمة ويضحكون للأيام والأيام
تضحك لهم

مات أهلى أذل ميتة ، وانا ههنا أعيش فى رغد وسلام ،
وهذه هى المأساة المستتبة على مسرح نفسى

لو كنت جائعاً بين أهلى الجائعين ، مضطهداً بين
قومى المضطهدين لكنت الايام أخف وطأة على صدرى
والليالى اقل سواداً أمام عيني . لان من يشارك أهله بالاسى
والشدة يشعر بتلك التعزية العلوية التى يولدها الاستشهاد ،
بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الأبرياء

ولكنى لست مع قومى الجائعين ، المضطهدين ،
السائرين فى موكب الموت نحو مجد الاستشهاد ، بل انا ههنا
وراء البحار السبعة أعيش فى ظل الطمانينة وخمول السلامة ،
انا ههنا بعيد عن النكبة والمنكوبين ولا استطيع ان افتخر
بشئ حتى ولا بدموعى

وماذا عسى يقدر المنفى البعيد ان يفعل لاهله الجائعين
ليت شعري ، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه ! لو
كنت سنبلة من القمح نابتة فى تربة بلادى لكان الطفل
الجائع يلتقطنى ويزيل بحباتى يد الموت عن نفسه

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة
الجائعة تتناولني وتقضمي طعاماً

لو كنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع
يصطادني ويزيل بجسدي ظل القبر عن جسده

ولكن ، واحرّ قلباه ، لست بسنبلة من القمح في
سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة في أودية لبنان ، وهذه هي
نكبتى ، هذه هي نكبتى الصامته التي تجعلنى حقيراً أمام
نفسى وأمام اشباح الليل

هذه هي المأساة الموحجة التي تعقد لسانى وتكبل
يدىّ ثم توقفنى بلا عزم ، ولا إرادة ، ولا عمل



يقولون لى — ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة
العالم ، وما الدموع والدماء التي أهرقت في بلادك سوى
قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً ونهاراً في أودية
الأرض وسهولها

نعم ، ولكن نكبة بلادي نكبة خرساء — نكبة

بلادى جريمة جبلت بها رؤوس الافاعى والثعابين — نكبة
بلادى مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد

لو نار قومي على حكامهم الطغاة وماتوا جميعاً متمردين
لقلت أن الموت فى سبيل الحرية لأشرف من الحياة فى
ظلال الاستسلام ، ومن يعتنق الابدية والسيوف فى يده كان
خالدًا بخلود الحق

لو اشتركت أمتى بحرب الامم وانقرضت عن بكرة
أيها فى ساحة القتال لقلت هى العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها
الاغصان الخضراء واليابسة معاً ، والموت تحت أقدام
العواصف لأشرف منه بين ذراعي الشيخوخة

ولو زلزلت الارض زلزالها وقلبت ظهر بلادى صدرًا
وغمر التراب اهلى وأحبائى لقلت هى النواميس الخفية تتحرك
بمشيئة قوة فوق قوى البشر فمن الجهالة أن نحاول ادراك
أسرارها وخفاياها

ولكن لم يمت أهلى متمردين ، ولا هلكوا محاربين ،
ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين

مات أهلى على الصليب
ماتوا وأكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب وعيونهم
محدقة بسواد الفضاء
ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد أغلقت دون
صراخهم
ماتوا لانهم لم يحبوا أعداءهم كالجناء ، ولم يكرهوا
محبهم كالجاحدين
ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين
ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين
ماتوا لانهم كانوا مسالمين
ماتوا جوعاً فى الارض التى تدر لبناً وعسلاً
ماتوا لان الثعبان الجهنمى قد اتهم كل مافى حقولهم
من المواشى وما فى اهرائهم من الاقوات
ماتوا لان الافاعى أبناء الافاعى قد تنفسوا السموم فى
الفضاء الذى كانت تملؤه أنفاس الارز و عطور الورد والياسمين

مات أهلى وأهلكم، أيها السوريون، فماذا نستطيع ان
نفعل لمن لم يمت منهم؟

ان نواحنه لا يسد رمقهم، ودموعنا لا تروي غليلهم
اذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة؟ هل نبقى
مرتابين، مترددين، متكاسلين، مشغولين عن المأساة العظمى
بتوافه الحياة وصغائرها؟

ان العاطفة التى تجعلك، يا أخى السوري، أن تعطى
شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته هى هى الامر الوحيد
الذي يجعلك حرياً بنور النهار وهدوء الليل.

وان الدرهم الذي تضعه فى اليد الفارغة الممدودة اليك
هو هو الحلقة الذهبية التى تصل ما فيك من البشرية بما فوق
البشرية

أغنية الليل

سكن الليل ، وفي ثوب السكون	تختبي الاحلام
وسمي البدر ، وللبدر عيون	ترصد الايام
فتعالى ، يا ابنة الحقل ، نزور	كرمة العشاق
علنا نطفي بذياك العصير	حرقة الأشواق
اسمى البلبل ما بين الحقول	يسكب الألحان
في فضاء تفخت فيه التلول	نسمة الريحان
لا تخافي ، يا فتاتي ، فالنجوم	تكتم الأخبار
وضباب الليل في تلك الكروم	يحجب الأسرار
لا تخافي ، فعروس الجن في	كهفها المسحور
هجمت سكرى وكادت تختفي	عن عيون الحور
ومليك الجن ان مرَّ يروح	والهوى يثنيه
فهو مثل عاشق كيف يبوح	بالذي يضنيه

صفحة من المواكب

والدين في الناس حقلٌ ليس يزرعه
غير الأولى لهم في زرعه وطرُ
من آملٍ بنعيم الخلدِ مبشرٍ
ومن جهولٍ يخافُ النارَ تستعرُ
فالقومُ لولا عقاب البعثِ ما عبدوا
ربًّا ولولا الشواب المرتجى كفروا
كأنما الدينُ ضربًا من متاجرهم
إن واطبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

صفحة من المواكب

ليس في الغابات دينٌ
لا ولا الكفرُ القبيحُ
فإذا البلبُلُ غنى
لم يقل هذا الصحيحُ
ان دين الناس يأتي
مثلَ ظلٍّ وروحٍ
لم يَقمْ في الارض دينٌ
بعد طه والمسيح

أعطني الناي وغنّ فالغنا خيرُ الصلاة
وانينُ الناي يبق بعد أن تَفنى الحياة

أيتها الارض

ما أجملك أيتها الارض وما أبهاك .
ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس .
ما أظرفك متشجة بالظل وما أملح وجهك مقنعا
بالدجى .

ما أعذب أغاني جفرك وما أهول تهاليل مسائك .
ما أكملك أيتها الارض وما أسناك .
لقد سرت فى سهولك ، وصعدت على جبالك ،
وهبطت الى اوديتك ، وتسلفت صخورك ، ودخلت
كهوفك ، فعرفت حلمك فى السهل ، وأنفتك على الجبل ،
وهددوك فى الوادى ، وعزمتك فى الصخر ، وتكتمك فى
الكهف ، فانت أنت المنبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ،
المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها ، الواضحة بأسرارها
ومكنوناتها

لقد زكيت بحارك ، وخضت أنهارك ، وتتبعت
جداولك فسمعت الأبدية تتكلم بمدك وجزرك ، والدهور
اترنم بين هضابك وحزونك ، والحياة تناجي الحياة في شعبك
ومنحدراتك ، فانت انت لسان الابدية وشفاهها ، واوتار
الدهور واصابعها ، وفكرة الحياة وبيانها

لقد ايقظني ربيعك وسيرني الى غاباتك حيث تتصاعد
انفاسك بخورا ، واجلسني صيفك في حقولك حيث يتجوهر
اجهادك اثماراً ، وأوقفني خريفك في كرومك حيث يسيل
دمك خرا ، وقادني شتاؤك الى مضجعك حيث يتناثر
طهرك ثلجا ، فانت أنت العطرة بربيعها الجوادة بصيفها
الفياضة بخريفها ، النقية بشتائها

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وأبوابها
وخرجت اليك مثقلا بمطامعي مكبلا بقيود أنايتي فالفيتك
شاخصة بالكواكب وهي تبسم لك ، فترعت عنى قيودي
وأثقالى وعلمت أن منزل النفس فضاؤك ، ورغائبها في
رغائبك ، وسلامتها في سلامتك وسعادتها في الغبار الذهبي

الذى تنثره النجوم على جسدك

في الليلة المبطنة بالغيوم ، وقد مللت غفلتى وجودى
خرجت اليك فوجدتك جبارة هائلة مسلحة بالعاصفة ،
تجار بين ماضيك بحاضرك ، وتصرعين قديمك بجديدك ،
وتبعثرين ضئيلك بضليعك ، فعلمت ان نظام البشر نظامك ،
وناموسهم ناموسك ، وستهم سنتك ، وان من لا يهصر
بارياحه ماييس من أغصانه يموت مللا ، ومن لا يمزق بثوراته
مابلى من اوراقه يفنى خمولا ، ومن لا يكفن بالنسيان ما
مات من ماضيه كان هو كفنا لما تى الماضى

*
* *

ما أكرمك أيتها الارض وما أطول اناتك
ما أشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم
الى أوهامهم ، الضائعين بين ما بلغوا اليه وما قصرُوا عنه
نحن نضح وأنت تضحكين
نحن نذنب وأنت تكفرين
نحن نجدف وأنت تباركين

نحن نفجس وأنت تقدسين
نحن نهجع ولا نحلم وأنت تحلمين في سهرك السرمدى
نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تعمرين
كلومنا بالزيت والبلسم
نحن نزرع راحتك العظام والجماجم وأنت تستنبتينها
حورا وصفصافا
نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالانهار
ومعاصرنا بالعناقيد
نحن نصبغ وجهك بالدم وأنت تغسلين وجوهنا
بالكوثر
نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف
وأنت تتناولين عناصرنا وتكوينين منها الورود والزبايق
ما أوسع صبرك أيتها الارض وما أكثر انعطافك
ما أنت أيتها الارض ومن أنت ؟
اذرة من الغبار تصاعدت من بين قدمي الله عند ما

سار من مشارق الاكوان الى مغاربها ، أم شرارة قذفت
من موقد اللا نهاية .

انواة طرحت في حقل الاثير لتشق قشرتها بعزم لبابها
وتتعالى نصبة ربانية الى مافوق الاثير ؟

أقطرة من الدم في عروق جبار الجبابة ، ام انت
قطرة من العرق على جبينه ؟

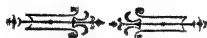
اثمرة تلوحها الشمس يبطء ؟ اثمرة انت في شجرة
المعرفة الكلية التي تمتد عروقها الى أعماق الازل وترفع
غصونها الى اعماق الابد ؟ أم جوهرة انت وضعها آله الزمن
في حفنة إلهة المسافة ؟

اطفلة انت في حضن الفضاء ، أم عجوز ترقب الايام
والليالي وقد شبعت من حكمة الليالي والايام ؟

ما أنت أيتها الارض ومن أنت ؟

انت أنا أيتها الارض ! انت بصرى وبصيرتى ، انت
عافلتى وخيالى وأحلامي ، انت جوعى وعطشى ، انت الي

وسرورى ، انت غفلتى وانتباهى
انت الجمال فى عينى — ، والشوق فى قلبى ، والخلود
فى روحى
انت أنا أيتها الارض فلو لم اكن لما كنت




السم في الدسم

في صباح يوم من أيام الخريف الذهبية التي تظهر شمال لبنان بكل مظاهره العلوية اجتمع سكان قرية تولا حول الكنيسة القائمة في وسط منازلهم يتساءلون ويتبادلون الآراء في سفر فارس الرحال الفجائي الى مكان قصي لا يعلم به غير الله تاركا عروسته الصبية التي تزوج بها منذ ستة أشهر كان فارس الرحال شيخ القرية وزعيمها ، وقد ورث هذه المنزلة عن أبيه وجدده . ومع أنه لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره فقد كان في شخصيته ما يوعز الاحترام والوقار في قلوب مواطنيه . وعند ما افترن في أواسط الربيع الغابر بسوسان بركات قال الناس - ما أسعده فتى ! فهو قد حصل

قبل أن يبلغ الثلاثين على كل ما يتمناه الانسان من السعادة في الحياة الدنيا .

ولكن في ذلك الصباح عندما استيقظ سكان تولا وقيل لهم أن الشيخ فارس قد جمع ما تيسر له من المال وركب فرسه وغادر القرية دون أن يودع نسيباً أو صديقاً تعاظمت ظنونهم وأخذوا يتساءلون عن الاسباب الخفية التي جعلته أن يتركهم ويترك عروسته ومنزله وحقوله وكرومه

إن الحياة في شمالى لبنان أقرب الى الاشتراكية منها الى كل تعليم آخر ، فالقوم هناك يتساهمون أفراح الوجود وشدائده مدفوعين بأُميال فطرية وضعية . فاذا ما جاءت الأيام بحادث الى قرية ينصرف سكانها بكائيتهم الى استقصاء ذلك الحادث حتى تجيء الأيام اليهم بأمر آخر  تلك هي العوامل التي صرفت سكان تولا عن أعمالهم اليومية فاجتمعوا حول كنيسة مارتولا يتحدثون ويتساءلون ويتبادلون الآراء بسفر فارس الرحال .

وبينما هم على هذه الحالة واذا بالخوري اسطفان كاهن

القرية يقترب منهم منحني الرأس منقبض الملامح . فدنوا منه مستطلعين فظل ساكناً يفرك يداً بيد وبعد هنيهة قال - لا تسألوني لا تسألوني . كل ما أعرفه يا أبنائي هو هذا . قرع فارس باب منزلي قبل طلوع الفجر ولما فتحت له وجدته متمسكاً بمقود فرسه وعلى وجهه أمارات الحزن الشديد فسألته مستغرباً عما يريد فقال « جئت لأودعك يا أبتى ، فأنا مسافر الى ما وراء البحار ولن أعود الى هذه البلاد وأنا حي » ثم وضع في يدي رسالة مختومة باسم صديقه نجيب مالك وطلب الى أن أسلمها اليه يدأ بيد . فعل هذا واعتلى فرسه وراح مسرعاً قبل أن استوضح أمره . هذا كل ما أعرفه . فلا تسألوني الزيادة .

فقال أحد الواقفين

- لاشك أن في الرسالة ما ينبئنا عن سبب سفره لأن

نجيب مالك كان أعز صديق له في القرية

وقال آخر

وهل رأيت عروسته يا أبتاه ؟

فأجاب الكاهن

— قد زرتها بعد صلاة الصباح فوجدتها جالسة بقرب النافذة تنظر الى البعيد بعينين زجاجيتين كأنها فقدت ادراكها ولما سألتها هزت رأسها وقالت « لا أدري . لا أدري . » ثم طفقت تبكي وتنتحب كالأطفال .

ولم ينته الكاهن من كلامه الا وذر القوم حوله لطلق بندقية من الوجهة الشرقية من القرية . ثم تبعه صراخ امرأة جارح ارتعشت له دقائق الفضاء . فهت القويون دقيقة ثم ترا كضوا نساء ورجالا وعلى وجه كل واحد منهم برقع من الخوف والتشاؤم . ولما بلغوا البستان الذي يحيط بمنزل فارس الرجال شاهدوا هنالك منظرأ أجد الدم في عروقهم والفكرة في رؤوسهم — رأوا نجيب مالك منطرحاً على التراب والنجيع يتدفق من أمعائه . وعلى مقربة منه سوسان زوجة فارس الرجال تنبش شعرها وتمزق أثوابها وتصرخ متوجعة — « قد قتل نفسه . قد أطلق البندقية في صدره . »

فهت القوم كان أكف القضاء غير المنظورة قد قبضت

على أرواحهم . ولما اقترب الكاهن من الصريع وجد في
يمينه الرسالة التي كان قد سلمه أياها في ذلك الصباح وقد قبض
عليها بشدة كأنه يريد أن يجعلها جزءاً من أصابعه فتناولها
الكاهن ووضعها في جيبه دون أن يراه أحد ثم تراجع الى
الوراء لاطمأ وجهه .

وحمل القوم جثة المنتحر الى بيت والدته المسكينة التي
لم ترجئة وحيدها حتى فقدت عقلها .
واهتم بعض النساء بزوجة فارس الرحال فاقتادوها الى
منزلها بين حية وميتة .



ولما بلغ الخورى اسطفان منزله أوصد الباب ووضع
النظارات على عينيه منتشلاً الرسالة التي وجدها في يد نجيب
مالك وبصوت مرتعش أخذ يقرأ —
« أخى نجيب

أنا تارك هذه القرية لان وجودي فيها يجلب التعاسة

لك ولزوجتي ولى أيضا . أنا أعلم بانك شريف النفس ترفع
عن خيانة صديقك وجارك ، وأعلم أن زوجتي سوسان
طاهرة الذيل ولكننى أعلم فى الوقت نفسه أن الحب الذى
يضم قلبك وقلبها هو أمر فوق ارادتكما . فأنت لاتستطيع
إزالته كما أنك لاتقدر أن توقف مجارى نهر قاديشا . لقد كنت
صديقا لى يانجيب مذكنا صبيين نلعب فى الحقول وفى ساحة
الكنيسة . وأنت لم تزل صديقى أمام الله وأرجوك أن تفتكر بى
فى المستقبل مثلما كنت تفتكر بى فى الماضى ، واذا التقيت
بسوسان غدا أو بعده فقل لها انى احبها وارحمها ، وقل لها أيضا
انى كنت أذوب شفقة عندما كنت استيقظ فى سكىنة الليل
وأراها راكعة أمام صورة يسوع تبكى وتلتحب وتجلد صدرها ،
ليس أصعب من حياة المرأة التى تجدد نفسها واقفة بين رجل
يحبها ورجل تحبه وسوسان المسكىنة كانت فى حرب دائم ،
كانت تريد أن تقوم بواجباتها الزوجية ولكنها لم تكن
قادرة على قتل عواطفها ، أما أنا فمسافر الى مكان بعيد ولن
أعود الى هذه الديار لانى لاأريد أن أكون حبر عثره فى

سبيل سعادتكما ، وفي الختام أرجوك يا أخى أن تبقى مخلصا
لسوسان وأن تحافظ عليها حتى النهاية لأنها قد ضمت كل
شئ من أجلك ، فهي تستحق كل ما يستطيع الرجل أن
يقدم للمرأة ، ابق يا نجيب كما عهدتك شريف القلب كبير
النفس والله يحفظك
لاخيك

فارس الرحال

ولما انتهى الخورى اسطفان من قراءة الرسالة طواها
وأعادها الى جيبه وجلس بقرب النافذة ينظر الى الوادى
البعيد وعلى وجهه المتجدد امارات التفكير العميق
ولكن لم تمر دقيقة حتى انتصب فجأة على قدميه كأبه
وجد بين ثنايا افكاره سرا دقيقاً هائلا محجوبا بالظواهر
ملتفا بالسطحيات ، فهتف صارخا — ما أكثر دهائك
يا فارس الرحال ، فقد عرفت كيف تقتل ابن مالك وتبقى
بريئا من دمه ، قد بعثت اليه بالسم ممزوجا بالعسل ، قد
بعثت اليه بالسيف ملتفا بالحريز ، قد بعثت اليه الموت طى
الرسالة ، فعند ماصوب بندقيته الى صدره كانت يدك قابضة

على يده وارادتك محيطه بارادته ... أواه ما أكثر دهاءك
يا فارس الرحال ...

وعاد الخورى بولس يجلس على المقعد هازا رأسه
ممشطاً لحيته بأصابعه مبتسماً ابتسامات ذات معانٍ أشدهولاً
من المأساة وبعد هنيهة تناول كتاباً من خزانة قرية وأخذ
يتلو بعض موشحات القديس افرام السريانى وهو يرفع
عينيه بين الآونة والاخرى ليسمع صراخ النساء آتياً من
قلب القرية



المخدرات والمباضع

« هو متطرف بمبادئه حتى الجنون »

« هو خيالي يكتب ليفسد أخلاق الناشئة »

« لو اتبع الرجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران في الزواج لتقوضت أركان العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم جحيمًا وسكانه شياطين »
« قهرا عما لا أسلوبه الكتابي من الجمال فهو من أعداء الإنسانية »

« هو فوضوى كافر ملحد ومحن ننصح لسكان هذا الجبل المبارك بأن ينبذوا تعاليمه ويحرقوا مؤلفاته لئلا يعلق منها شئ على نفوسهم »
« قد قرأنا له الأجنحة المتكسرة فوجدناها السم في الدسم »



هذا بعض ما يقوله الناس عنى وهم مصيبون ، فأنا

متطرف حتى الجنون ، أميل الى الهدم ميل الى البناء ، وفي
قلبي كره لما يقدهه الناس وحب لما يأبونه ، ولو كان بإمكانى
استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة
أما قول بعضهم أن كتاباتى سم فى دسم فكلام يبين الحقيقة
من وراء نقاب كثيف - فالحقيقة العارية هى أننى لا أمزج
« السم » بالدم بل أسكبه صرفا . . غير أننى أسكبه فى
كوؤوس نظيفة شفافة

أما الذين يعتذرون عنى أمام نفوسهم قائلين « هو خيالى
يسبح مررفا بين الغيوم » فهم الذين يحدقون بلمعان تلك
الكوؤوس الشفافة منصرفين عما فى داخلها من الشراب
الذى يدعونه « سما » لان معدهم الضعيفة لا تهضمه
قد تدل هذه التوطئة على الوقاحة الخشنة ، ولكن
أليست الوقاحة بخشونتها أفضل من الخيانة بنعومتها ؟ ان
الوقاحة تظهر نفسها بنفسها أما الخيانة فترتدي بملابس
فصلت لغيرها



يطلب الشرقيون من الكاتب أن يكون كالنحلة التي
تطوف مرفرفة في الحقول جامعة حلاوة الأزهار لتصنع
منها أقراصاً من العسل

أن الشرقيين يحبون العسل ولا يستطيعون سواه ما كلاً
وقد أفرطوا بالتهامة حتى تحولت نفوسهم الى عسل تسيل
أمام النار ولا تتجمد الا اذا وضعت على الثلج

ويطلب الشرقيون من الشاعر أن يحرق نفسه بخوراً
أمام سلاطينهم وحكامهم ويطاركتهم . وقد تلبذ فضاء الشرق
بنيوم البخور المتصاعدة من جوانب العروش والمذابح والمقابر
ولكنهم لا يكتفون . ففي أيامنا هذه مداحون يضارعون
المتنبى ، وراثون يضاهون الخنساء ، ومهنتون أكثر طلاوة
من صفي الدين الحلي

ويطلب الشرقيون من العالم أن يبحث في تاريخ آبائهم
وجددهم ، متعمقاً بدرس آثارهم وعوائدهم وتقاليدهم صارفاً
أيامه ولياليه بين مطولات لغاتهم واشتقاقات ألفاظهم ومباني
معانيهم ونيانهم وبديعهم

ويطلب الشرقيون من المفكر أن يعيد على مسامعهم
مقاله بيدبا وابن رشد وافرام السرياني ويوحنا الدمشقي وأن
لا يتعدى بكتاباته حدود الوعظ البليد والارشاد السقيم
وما يحى بينهما من الحكم والآيات التي اذا ماتمشى عليها
الفرد كانت حياته كالاعشاب الضئيلة التي تنبت في الظل
ونفسه كالماء الفاتر الممزوج بقليل من الافيون

وبالاختصار فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي
المغابر ويميلون الى الامور السلبية المسلية المفككة ويكرهون
البادئ والتعاليم الايجابية المجردة التي تلتصمهم وتنهبهم من
رقادهم العميق المغمور بالاحلام الهادئة



انما الشرق مريض قد تناوبته الملل وتداولته الأوبئة
حتى تعود السم وألف الألم وأصبح ينظر الى أوصابه وأوجاعه
كصفات طبيعية بل كخلال حسنة ترافق الأرواح النبيلة
والأجساد الصحيحة فمن كان خاليا منها عدا ناقصاً محروماً من
المواهب والكمالات العلوية

وأطباء الشرق كثيرون يلزمون مضجعه ويتآمرون
في شأنه ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الوقتية التي
تطيل زمن العلة ولا تبرئها

أما تلك المخدرات المعنوية فكثيرة الانواع متعددة
الاشكال متباينة الالوان . وقد تولد بعضها من بعض مثلما
تناسخت الأمراض والعاهات بعضها عن بعض . وكلما ظهر
في الشرق مرض جديد يكتشف له أطباء الشرق مخدراً
جديداً .

وأما الاسباب التي آلت الى وجود المخدرات فعديدة
أهمها استسلام العليل الى فلسفة القضاء والقدر المشهورة ،
وجبانة الأطباء وخوفهم من تهيبج الألم الذي تحدثه الادوية
الناجعة .

واليك أمثلة من تلك المخدرات والمسكنات التي يتخذها
الأطباء الشرقيون لمعالجة الأمراض العائلية والوطنية
والدينية .

ينفر الرجل من زوجته والمرأة من بعلمها لأسباب

وضعية حيوية فيتخاصمان ويتضاربان ويتباعدان ولكن لا يمر يوم وليلة حتى يجتمع أهل الرجل بأهل زوجته فيتبادلوا الآراء المزخرفة والأفكار المرصعة ثم يتفقوا على إيجاد السلام بين الزوجين فيأتون بالمرأة ويستهوون عواطفها بالمواعظ الملفقة التي تخجلها ولا تقنعها ثم يستدعون الرجل ويفغرون رأسه بالأقوال والأمثال المزركشة التي تلين أفكاره ولا تغيرها . وهكذا يتم الصلح — الصلح الوقتي — بين الزوجين المتنافرين بالروح فيعودا قهرا عن ارادتهما الى السكنى تحت سقف واحد حتى « ييوخ » الطلاء وينزل تأثير المخدر الذي استخدمه الأهل والانسباء فيعود الرجل الى اظهار نفوره ومقته والمرأة الى ازالة النقاب عن تعاستها . غير ان الذين أوجدوا الصلح في المرة الأولى يوجدونه ثانية ومن يرتشف جرعة من المخدرات لا يأبى شرب كأس دهاق يتمرد قوم على حكومة جائرة أو على نظام قديم فيؤلفون « جمعية اصلاحية » ترمى الى النهوض والانعتاق فيخطبون بشجاعة ويكتبون بحماسة وينشرون « اللوائح

والبرامج» وبيعثون « الوفود والممثلين » ولكن لا يمر شهر أو شهران حتى نسمع بأن الحكومة قد سجنّت رئيس الجمعية أو عهدت إليه بوظيفة أما الجمعية « الاصلاحية » فلا نعود نسمع عنها شيئاً لان أفرادها قد تجرعوا قليلا من المخدرات المعهودة وعادوا الى السكينة والاستسلام

تمرد طائفة على رئيس دينها لأمر أولية فتنتقد شخصه وتنكر أعماله وتبهرم من ما آتاه ثم تهدده باعتناقها مذهبا آخر أقرب الى العقل وأبعد عن الأوهام والخرافات ولكن لا يمر ربح من الزمن حتى نسمع بأن عقلاء البلاد قد أزالوا الخلاف بين الراعى ورعيته وارجعوا بفضل المخدرات السحرية الهيبية الى شخص الرئيس والطاعة العمياء الى نفوس المرؤوسين العقوقين !

يتظلم مغلوب ضعيف من ظالم قوى فيقول له جاره « اسكت فالعين التى تعاند السهم تفقر »

يشك القروى بتقى الرهبان وإخلاصهم فيقول له

زميله « اصمت فقد جاء في الكتاب اسمعوا أقوالهم ولا
تفعلوا أفعالهم »

يعرض التلميذ عن استظهار مباحث البصريين
والكوفيين اللغوية فيقول له استاذي « ان الكسالى
المتوانين يختلفون لنفوسهم أعذار أقبح من الذنوب »
تمتنع الصبية عن اتباع عوائد المجازي فتقول لها والدتها
« ليست الابنة أفضل من أمها فالطريق التي سلكتها
تسلكينها أنت أيضاً »

يسأل الشاب مستفسراً معانى الزوائد الدينية فيقول
له الكاهن « من لا ينظر بعين الإيمان لا يرى فى هذا العالم
سوى الضباب والدخان »

وهكذا تمر الأيام أثر الليالى والشرقي مضطجع على
فراشه الناعم . يستيقظ دقيقة عند ما تلسعه البراغيث ثم
يعود ويهجع جيلاً بحكم المخدرات التى تمازج دمه وتسير فى
عروقه فاذا ما قام رجل وصرخ بالنائمين وملاً منازلهم
ومعابدهم ومجالحهم بالضجيج يفتحون أجفانهم المطبقة

بالنعاس الأبدى ثم يقولون متشائمين « ما أخشنه قى لا ينام
ولا يدع الناس أن يناموا » ثم يغمضون عيونهم ويهمسون
فى آذان أرواحهم « هو كافر ملحد يفسد أخلاق الناشئة
ويهدم مباني الأجيال ويرشق الأنسانية بالسهام السامة »

*
* *

قد سألت نفسى مرات ما اذا كنت من المستيقظين
التمردين الذين يأبون شرب المخدرات والمسكنات . فكانت
نفسى تيجينى بكلمات مبهمه ملتبسه . ولكنى لما سمعت الناس
يحدفون على اسمى ويتأففون من مبادئى أيقنت بحقيقة
يقظتى وعلمت أنى لست من المستسلمين الى الأحلام
اللذيذة والخيالات المستحبة بل من أولئك المستوحدين
الذين تسيرهم الحياة على سبل ضيقة مغروسة بالأشواك
والازهار مخوفة بالذئاب الخاطفة والبلابل المترنمة

ولو كانت اليقظة فضيلة لمنعنى الاحتشام عن ادعائها
ولكنها ليست بفضيلة بل حقيقة غريبة تظهر على حين
غفلة للأفراد المستوحدين وتسير امامهم فيتبعونها قسر

إرادتهم مجذوبين بإسلاكها الخفية محدقين بمعانيها المهيبة
وعندى أن الاحتشام فى اظهار الحقائق الشخصية
هو نوع من الرياء الأبيض المعروف عند الشرقيين باسم
التهذيب

*
* *

غداً يقرأ « الأدياء المفكرون » ما تقدم فيقولون
متضجرين « هو متطرف ينظر الى الحياة من الوجهة
المظلمة فلا يرى غير الظلام وقد طالما وقف فينا نادباً ناثماً
بأكيأ علينا متأوهاً لحالنا »

فلهؤلاء الأدياء المفكرين أقول — أنا أئذب الشرق
لأن الرقص امام نعش الميت جنون مطبق
أنا أبكى على الشرقيين لأن الضحك على الأمراض
جهل مركب

أنا أنوح على تلك البلاد المحبوبة لأن الفناء امام
المصيبة العمياء غباوة عمياء
أنا متطرف لأن من يعتدل باظهار الحق يبين نصف

الحق ويبقى نصفه الآخر محجوباً وراء خوفه من ظنون
الناس وتقولاتهم

أنا أرى الجيفة المنتنة فتشمئز نفسي وتضطرب أحشائي
ولا أستطيع أن أجلس قبالها وفي عيني كأس من الشراب
وفي شمالي قطعة من الحلوى

فإن كان هناك من يريد أن يبذل نوحى بالضحك
ويحول اشمئز إلى الانعطاف وتطرفي إلى الاعتدال
فعليه أن يريني بين الشرقيين جاكماً عادلاً ومتشرعاً مستقيماً
ورئيس دين يعمل بما يعلم وزوجاً ينظر إلى امرأته بالعين
التي يري بها نفسه

إن كان هناك من يريد أن يشاهدني راقصاً ويسمعني
مطرباً ومزمرراً فعليه أن يدعوني إلى بيت العريس لأن
يوقفني بين المقابر .

مستقبل اللغة العربية^(١)

والعالم العربي

(١) ما هو مستقبل اللغة العربية ؟

انما اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الأمة ، أو ذاتها العامة ، فاذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفي الوقوف التقهقر ، وفي التقهقر الموت والاندثار

إذا فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن — أو غير الكائن — في مجموع الأمم التي تتكلم اللغة العربية ، فان كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية

(١) كانت مجلة الهلال الغراء وجهت هذه الاسئلة للرجال الذين يعمل على آرائهم ونحن ننقل رد نابغتنا شاكرين للهلال تفننه في خدمة الأدب العربي

وما هذه القوة التي ندعوها بقوة الابتكار ؟

هى فى الأمة عزم دافع الى الامام ، هى فى قلبها جوع وعطش وشوق الى غير المعروف ، وهى فى روحها سلسلة أحلام تسعى الى تحقيقها ليلاً نهاراً ولكنها لا تحقق حلقة من أحد طرفيها الا أضافت الحياة حلقة جديدة فى الطرف الآخر ، هى فى الأفراد النبوغ وفى الجماعة الحماسة ، وما النبوغ فى الأفراد سوى المقدرة على وضع ميول الجماعة الخفية فى أشكال ظاهرة محسوسة ، فى الجاهلية كان الشاعر يتأهب لأن العرب كانوا فى حالة التأهب ، وكان ينمو ويتمدد أيام المخضرمين لأن العرب كانوا فى حالة النمو والتمدد ، وكان يتشعب أيام المولدين لأن الأمة الاسلامية كانت فى حالة التشعب ، وظل الشاعر يتدرج ويتصاعد ويتلون فيظهر أنا كفيلسوف ، وآونة كطبيب ، وأخرى كفلكى حتى راود النعاس قوة الابتكار فى الأمم العربية فنامت وبنومها تحول الشعراء الى ناظمين والفلاسفة الى كلاميين والأطباء الى دجالين والفلكيون الى منجمين

— اذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الأمم التي تتكلمها ، فان كان لتلك الأمم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيما كماضيها — والا فلا

*
* *

(٢) وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوربي والروح الغربية فيها ؟

إنما (التأثير) شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتمضغه وتبتلعه وتحول الصالح منه الى كيائها الحى كما تحول الشجرة النور والهواء وعناصر التراب الى أفنان فأوراق فأزهار فأثمار ، ولكن اذا كانت اللغة بدون أضراس تقضم ولا معدة تهضم فالطعام يذهب سدى بل ينقلب سما قاتلا :
وكم من شجرة تحتال على الحياة وهى في الظل فاذا ما نقلت الى نور الشمس ذبلت وماتت ، وقد جاء « من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه »

وأما الروح الغريبة فهي دور من أدوار الانسان
وفصل من فصول حياته ، وحياة الانسان موكب هائل
يسير دائماً الى الامام ، ومن ذلك الغبار الذهبي المتصاعد
من جوانب طريقه تتكوّن اللغات والحكومات والمذاهب :
فالأم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة ،
والمبتكر مؤثر ، والأم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة ،
والمقلد متأثر ، فلما كان الشرقيون سابقين والغريون لاحقين
كان لمدينتنا التأثير العظيم على لغاتهم ، وها قد أصبحوا هم
السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدينتهم بحكم
الطبع ذات تأثير عظيم على لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا
يسد ان الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه
فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربي ،
أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغريون
ويبتلعونه ولكن لا يتحول الى كيانهم الشرقى بل يحولهم الى
شبه غربيين ، وهي حالة أخشاهوا وأتبرم منها لأنها تبين الى الشرق
نارة كمجوز فقد أضراسه وطوراً كطفل بدون أضراس !

ان روح الغرب صديق وعبود لنا . صديق اذا تمكنا
منه وعدو اذا تمكن منا . صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو
اذا وهبناه قلوبنا . صديق اذا أخذنا منه ما يوافقنا وعدو اذا
وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه

*
* *

(٣) وما يكون تأثير التطور السياسى الحاضر في
الأقطار العربية ؟

قد أجمع الكتاب والمفكرون في الغرب والشرق على
أن الاقطار العربية في حالة التشويش السياسى والادارى
والنفسى : ولقد اتفق أكثرهم على أن التشويش مجلبة
الخراب والاضمحلال

أما أنا فأسأل - هل هو تشويش أم ملل ؟

ان كان مللا فالملل نهاية كل أمة وخاتمة كل شعب -
الملل هو الاحتضار في صورة النعاس والموت في شكل
النوم

وان كان بالحقيقة تشويشا فالتشويش في شرعى ينفع

دائماً لانه يبين ما كان خافيا في روح الامة ويسدل نشوتها
بالصحو وغيوبتها باليقظة ونظير عاصفة تهب بعزمها الاشجار
لا لتقتلعها بل لتكسر أغصانها اليابسة وتبعثر أوراقها الصفراء
واذا ما ظهر التشويش في أمة لم تزل على شيء من الفطرة
فهو أوضح دليل على وجود قوة الابتكار في أفرادها
والاستعداد في مجموعها . انما السديم أول كلمة في كتاب
الحياة وليس بآخر كلمة منها . وما السديم سوى حياة
مشوشة

إذا فتأثير التطور السياسى سيحول ما فى الأقطار
العربية من التشويش الى نظام . وما فى داخلها من الغموض
والاشكال الى ترتيب والفة . ولكنه لا ولن يبدل ملها
بالوجد وضجرتها بالحماسة : ان الخزاف يستطيع أن يصنع
من الطين جرة للخمر أو للخل ولكنه لا يقدر أن يصنع
شيئاً من الرمل والحصى

(٤) هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم ؟

لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدي الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى أيدي الحكومات المحلية

ففي سوريا مثلاً كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لاننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أمانتنا . أحيانا لانه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأمانتنا لانه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد في حبل احدى الأمم الغريبة وترفع لواءها وتترنم بحماسها وأمجادها . فالشاب الذي تناول لقمة من العلم

في مدرسة أميريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أميركي ، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً افرنسيا ، والشاب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا .. الى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتباين المنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي . فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الانكليزية يريدون أميركا وانكلترا وصية على بلادهم ، والذين درسوها باللغة الافرنسية يطلبون فرنسا أن تتولى أمرهم ، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة أدنى وأقرب الى معارفهم وأقرب الى مداركهم

وقد يكون ميلنا السياسي الى الأمة التي نتعلم على نفقتها دليلاً على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التي تستنبت

زهرة وتقتلع غابة؟ ما هذه العاطفة التي تحيينا يوماً وتميتنا
دهراً؟

ان المحسنين الحقيقيين وأصحاب الأريحية لم يضعوا الشوك
والحسك في الخبز الذي بعثوا به إلينا ، فهم بالطبع قد حاولوا
نفعنا لا الضرر بنا . ولكن كيف تولد ذلك الشوك ومن
أين أتى ذلك الحسك ؟ هذا بحث آخر أتركه الى فرصة أخرى
نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العاليه
وغير العاليه وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية
وتتبلور منازعنا القوميه لان في المدرسة تتوحد الميول وفي
المدرسة تتجوهر المنازع ، ولكن لا يتم هذا حتي يصير
الواحد منا ابناً لوطن واحد بدلاً من وطنين متناقضين أحدهما
لجسده والاخر لروحه . لا يتم هذا حتي نستبدل خبز الصدقة
بخبز معجون في بيتنا ، لان المتسول المحتاج لا يستطيع
أن يشترط على المتصدق الا يرحى ومن يضع نفسه في منزلة
الموهوب لا يستطيع معارضة الواهب ، فالموهب مسير دائماً
والواهب مخير أبداً



(٥) وهل تغلب « اللغة العربية الفصحى » على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها؟

ان اللهجات العامية تتحور وتهذب ويدلك الخشن فيها فيلين ولكنها لا ولن تغلب — ويجب ألا تغلب — لانها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ومنبت ما نعدده بليغاً من البيان

أن اللغات تتبع مثل كل شىء آخر سنة بقاء الانسب، وفي اللهجات العامية الشىء الكثير من الأنسب الذى سيبقى لانه أقرب الى فكرة الأمة وأدنى الى مراعى ذاتها العامة: قلت أنه سيبقى وأعني بذلك أنه سيلتحم بجسم اللغة ويصير جزءاً من مجموعها

لكل لغة من لغات الغرب لهجات عامية ، ولتلك اللهجات مظاهر أدبية وفنية لا تخلو من الجميل المرغوب والجديد المبتكر ، بل في أوروبا وأميركا طائفة من الشعراء الموهوبين الذين تمكنوا من التوفيق بين العالى والفصيح

في قصائدهم وموشحاتهم فجاءت بليغة ومؤثرة : وعندى أن
في الموالى والزجل و « العتبا » و « المعنى » من الكنايات
المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة
المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة
فصيحة ، والتي تملأ جرائدنا ومجلاتنا ، لبانت كبقاة من
الرياحين بقرب رابية من الخطب : أو كسرب من الصبايا
الراقصات المترنمات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة

لقد كانت اللغة الإيطالية الحديثة لهجة عامية في القرون
المتوسطة ، وكان الخاصة يدعونها بلغة « الهمج » ولكن
لما نظم بها دانتي وبتراك وكامونس وفرنيس داسيزى
قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة إيطاليا
الفصحى وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكلًا يسير ولكن
في نعش على أكتاف الرجعيين . . وليست اللهجات العامية
في مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعرى والمتنبى من
لهجة « الهمج » الإيطالية عن لغة أوفيدى وفرجيل . فاذا
ما ظهر في الشرق الأدنى عظيم ووضع كتابا عظيما في احدى

معرفة منهم أو على غير معرفة ، فان قام كبير بينهم لزم في
اظهار مواهبه السبل البيانية التي سار عليها الأقدمون ،
وما سبل الأقدمين سوى أقصر الطرقات بين مهد
الفكر ولحده



(٦) وما هي خير الوسائل لاهياء اللغة العربية ؟
ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاهياء اللغة
هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه ، فالشاعر هو
الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذي ينقل
ما يحدته عالم النفس الى عالم البحث ، وما يقرره عالم الفكر
الى عالم الحفظ والتدوين
الشاعر أبو اللغة وأمها ، تسير حيثما يسير وتربض أينما
يربض ، واذا ما قضى جلست على قبره باكية منتحبة حتى

يمر بها شاعر آخر ويأخذ بيدها
واذا كان الشاعر أبو اللغة وأما فالمقلد ناسج كفنها
وحفار قبرها

أعنى بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً ، وكل
مكتشف قويا كان أو ضعيفاً ، وكل مخترق عظيمًا كان أو
حقيرا ، وكل محب للحياة المجردة أماما كان أو صعلوكا ، وكل
من يقف متهيبا أمام الأيام والليالي فيلسوفاً كان أو ناطورا
للكروم

أما المقلد فهو الذى لا يكتشف شيئا ولا يخلق أمرا
بل يستمد حياته النفسية من معاصريه ويصنع أثوابه المعنوية
من رقع يجزها من أثواب من تقدمه

أعنى بالشاعر ذلك الزارع الذى يفلح حقله بمحراث
يختلف ولو قليلا عن المحراث الذى ورثه عن أبيه فيجنى ،
بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد ، وذلك البستاني
الذى يستنبت بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة
ثالثة برتقالية اللون فيأتى بعده من يدعو الزهرة الجديدة

باسم جديد ، وذلك الحائك الذى ينسج على نوله نسيجاً
ذارسوم وخطوط تختلف عن الأقمشة التى يصنعها جيرانه
الحائكون فيقوم بعده من يدعو نسيجه هذا باسم جديد .
أعنى بالشاعر الملاح الذى يرفع لسفينة ذات شراعين
شراعاً ثالثاً ، والبناء الذى يبنى بيتاً ذا بايين ونافذتين بين
بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ
الذى يمزج الألوان التى لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لوناً
جديداً ، فيأتى بعد الملاح والبناء والصباغ من يدعو ثمار
أعمالهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعاً الى سفينة اللغة
ونافذة الى بيت اللغة ولوناً الى ثوب اللغة

أما المقلد فهو ذاك الذى يسير من مكان الى مكان على
الطريق التى سار عليها ألف قافلة وقافلة ولا يحيد عنها مخافة أن
يتيه ويضيع ، ذاك الذى يتبع بمعيشته وكسب رزقه ومأكله
ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التى مشى عليها ألف جيل
وجيل فتظل حياته كرجع الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل
لحقيقة قصية لا يعرف عنها شيئاً ولا يريد أن يعرف

أعنى بالشاعر ذلك المتعبد الذي يدخل هيكلاً نفسه
فيجثوباً كيّاً فرحاً نادباً مهلاً مصغياً مناجياً ثم يخرج وبين
شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة
لأشكال عبادته التي تتجدد في كل يوم وأنواع انجذابه التي
تتغير في كل ليلة فيضيف بعمله هذا وتراً فضياً إلى قيثارة
اللغة وعوداً طيباً إلى موقدها

أما المقلد فهو الذي يردد صلاة المصلين وابتهاال المبتهلين
بدون إرادة ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان
الشخصي حيث لا بيان ولا شخصية

أعنى بالشاعر ذاك الذي إن أحب امرأة انفردت
روحه وتحت عن سبل البشر لتلبس أحلامها أجساداً من
بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسيكنة
الأودية ثم حادت لتضفر من اختباراتهما كليلاً لرأس اللغة
وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة

أما المقلد فقلد حتى في حبه وغزله وتشبيهه فان ذكر
وجه حبيبته وعنقها قال « بدر وغزال » وإن خطر على باله

شعرها وقدها ولحظها قال « ليل وغصن بان وسهام » وان
شكى قال « جفن ساهر وجر بعيد وعذول قريب » وان
شاء أن يأتي بمعجزة بيانية قال « حبيبتي تستمطر لؤلؤ
الدمع من نرجس العيون لتسقى ورد الحدود وتعض على
عُباب أناملها ببرد أسنانها » يترنم صاحبنا البغواء بهذه
الأغنية العتيقة وهو لا يدري انه يسمم ببلادته دسم اللغة
ويعتمن بسخافته وابتذاله شرفها ونباتها

قد تكلمت عن المستنبط ونفعه والعقيم وضرره ولم
أذكر أولئك الذين يصرفون حياتهم بوضع القواميس
وتأليف المطولات وتشكيل المجامع اللغوية — لم أقل كلمة
عن هؤلاء لاعتقادي بأنهم كالشاطئ بين مد اللغة وجزرها
وان وظيفتهم لا تتعدى حد الغرابة — والغرابة وظيفة
حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلون اذا كانت قوة
الابتكار في الأمة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم
ولا تجمع على بيادرها سوى الشوك والقطرب ؟
أقول ثانية ان حياة اللغة وتوحيدها وتعميمها وكل ماله

علاقة بها قد كان وسيكون رهن خيال الشاعر فهل عندنا شعراء ؟

نعم عندنا شعراء ، وكل شرقي يستطيع أن يكون شاعراً في حقله وفي بستانه وامام نوله وفي معبده وفوق منبره وبجانب مكتبته . كل شرقي يستطيع أن يعتق نفسه من سجن التقليد والتقاليد ويخرج الى نور الشمس فيسير في موكب الحياة . كل شرقي يستطيع أن يستسلم الى قوة الابتكار المختبئة في روحه — تلك القوة الأزلية الأبدية التي تقيم من الحجارة أبناءً لله

أما أولئك المنصرفون الى نظم مواهبهم وثرها فلهم أقول : ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانعاً عن اقتفاء أثر المتقدمين خير لكم ولغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضعية من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة خير لكم ولغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً

أمام الانصاب والأصنام . ليكن لكم من حماسكم القومية
دافعاً الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم
وعجائب الفرح خفي لكم ولغة العريية أن تتناولوا أبسط
ما يتثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من
خيالكم من تعربوا أجل وأجل ما كتبه الغربيون .

تذكريات محب^(١)

كنت في الثامنة عشر عند ما فتح الحبُّ عينيَّ بأشعته
السحرية ، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية ، وكانت
سلمى كرامه المرأة الاولى التي أيقظت روحي بمحاسنها ،
ومشت أمامي الى جنة العواطف العلوية حيث تمرُّ الايام
كالا حلام وتنقضى الليالى كالاعراس

سلمى كرامه هى التى علمتنى عبادة الجمال بجمالها ، وأرتنى
خفايا الحب بانعطافها ، وهى التى انشدت على مسمى أول
بيت من قصيدة الحياة المعنوية

أي فتى لا يذكر الصبية الأولى التى أبدلت غفلة شببيته
بيقظة هائلة بلطفها ، جراحة بعذوبتها ، فتاة بجلالوتها ؟
من منا لا يذوب حينئذ الى تلك الساعة الغريبة التى اذا انتبه
فيها فجأة رأى كليته قد انقلبت وتحولت ، وأعماقه قد اتسعت
وانبسطت وتبطننت بانفعالات لذيدة بكل ما فيها من حرارة

(١) هذه توطئة رواية « الاجنحة المتكسرة »

الكتان ، مستحبة بكل ما يكتنفها من الدموع والشوق
والسهاد. لكل فتى سامي تظهر على حين غفلة في ربيع حياته
وتجعل لانفراده معنى شعرياً وتبدل وحشة أيامه بالأنس ،
وسكينة ليالية بالألغام

كنت حائر أ بين تأثيرات الطبيعة وموحيات الكتب
والاسفار عند ما سمعت الحب يهمس بشفتي سامي في آذان
نفسى ، وكانت حياتي خالية مقفرة باردة شبيهة بسبات آدم
في الفردوس عند ما رأيت سامي منتصباً أمامي كعمود النور
فسامي كرامه هي حواء هذا القلب المملوء بالاسرار والعجائب
وهي التي أفهمته كنه هذا الوجود وأوقفته كالمرآة أمام
هذه الاشباح ... حواء الاولى أخرجت آدم من الفردوس
بارادتها وانقياده أما سامي كرامه فادخلتني الى جنة الحب
والطهر بحلاوتها واستعدادي ، ولكن ما أصاب الانسان الاول
قد أصابني ، والسيف الناري الذي طرده من الفردوس هو
كالسيف الذي أخافني بلمعان حده وأبعدني كرها عن جنة المحبة
قبل أن أخالف وصية وقبل أن أذوق طعم ثمار الخير والشر

واليوم ، وقد مرت الأعوام المظلمة طامسة باقدامها
رسوم تلك الايام ، لم يبق لى من ذلك الحلم الجميل سوى
تذكارات موجعة ترفرف كالأجنحة غير المنظورة حول
رأسى ، مثيرة تنهدات الأسى فى أعماق صدرى ، مستقطرة
دموع اليأس والاسف من أجفانى . . . وسلمى — سلمى
الجميلة العذبة قد ذهبت الى ماوراء الشفق الازرق ولم يبق
من آثارها فى هذا العالم سوى غصات أليمة فى قاي وقبر
رخاى منتصب فى ظلال أشجار السرو . فذلك القبر وهذا
القلب هما كل ما بقى ليحدث الوجود عن سلمى كرامه .
غير أن السكينة التى تخفر القبور لا تفشى ذلك السر المصون
الذى أخفته الآلهة فى ظلمات التابوت ، والاغصان التى
امتصت عناصر الجسد لا تبيح بحفيفها مكنونات الحفرة . أما
غصات وأوجاع هذا القلب فهى التى تتكلم وهى التى تنسكب
الآن مع قطرات الحبر السوداء معلنة للنور أشباح تلك
المأساة التى مثلها الحب والجمال والموت
فيا أصدقاء شبيبتي المنتشرين فى يروت اذا مررتم بتلك

المقبرة القريبة من غابة الصنوبر ادخلوها صامتتين وسيروا
بيطء كيلا ترعج أقدامكم رفات الراقدين تحت أطباق الثرى
وقفوا متهيئين بجانب قبر سلمى وحيوا عنى التراب الذى ضم
جثمانها ثم اذكرونى بشهدة قائلين فى نفوسكم : هنادفت آمال
ذلك الفتى الذى نفقه صروف الدهر الى ما وراء البحار ،
وههنا توارت أمانيه وانزوت أفراحه وغارت دموعه
واضحلت ابتساماته ، وبين هذه المدافن الخرساء تنمو كآبته
مع أشجار السرو والصفصاف ، وفوق هذا القبر ترفرف
روحه كل ليلة مستأنسة بالذكري ، مرددة مع أشباح
الوحشة ندبات الحزن والأسى ، نائحة مع الغصون على
صبية كانت بالأمس نعمة شجية بين شفتى الحياة فأصبحت
اليوم سرّاً صامتاً فى صدر الارض

استحلفتكم يارفاق الصبا بالنساء اللواتى احبتهن قلوبكم
أن تضعوا أكليل الأزهار على قبر المرأة التى أحبها قلبى —
فرب زهرة تلقونها على ضريح منسى تكون كقطرة
الندى التى تسكبها أجفان الصباح بين أوراق الورد الذابلة

أمين الريحاني

من زعماء الحركة الفكرية في سوريا ومن دعاة النهضة الأدبية في المهجر . دعت صحافة سوريا فيلسوف الفريكة (نسبة الى مسقط رأسه) على أننا لانخطيء اذا دعونا فيلسوف سوريا . فقد كان ولم يزل امام المفكرين فيها وُلد الريحاني في الفريكة سنة ١٨٧٩ وهاجر إلى الولايات المتحدة وهو في الحادية عشرة من سنه . فاقببس الآداب الانكليزية والعربية دون مدرسة . على أنه تردد الى مدرسة ليلية زمنا استعدادا لدرس الشريعة . ثم دخل كلية الحقوق وغادرها دون أن ينهي دروسها ، ونزع الى فن التمثيل فكانت له فيه اجادة دعت الى الانخراط في سلك جوقة تمثيلية أميركية ، وما لبث أن تركها واتقطع الى سواها حتى بارح البلاد عائدا الى سوريا سنة ١٨٩٨ وهي أول عوداته الى الوطن . فاقام زمنا ثم عاد الى الولايات المتحدة . ولم يلبث أن ركب البحر ووجهته سوريا للمرة (٦ — مختارات)

الثانية سنة ١٩٠٤ فاقام فيها ست سنوات وهى سنوات تنسكه الشهيرة فى وادى الفريكة — سنوات أثمرت وعادت بالنفع على الاداب العربية . وكيف لا وفيها تمخضت قريحة الريحانى بالريحانيات وكتاب خالد وسواهما . ثم آب الى أميركا ومكث فيها حتى سنة ١٩١٢ فعاد الى سوريا عودته الثالثة ، ثم رجع الى الولايات المتحدة ولم ييارحها بعد ذلك الا مرتين تردد فيهما الى المكسيك هربا من شتاء نيويورك القاسى .

والريحانى يكتب بالانكليزية كالعربية وله مقالات نفيسة فيها ظهرت فى أمهات الجرائد الاميركية : ومن كتبه المطبوعة بالانكليزية « كتاب خالد » و « رباعيات أبى العلاء المعرى » المنظومة شعرا و « خارج الحريم » وله بالعربية من الكتب المطبوعة « الريحانيات » الشهيرة الجزء الأول والثانى . ونبذة فى الثورة الافرنسية و « المكارى والكاهن » وزنبقة النور وله الجزء الثالث والرابع من الريحانيات تحت الطبع

المدينة العظمى

السلم والمهاوية لانهاية لهما فى الحياة . لأن الدرجة الأولى منهما فى المهد والدرجة الأخيرة فى القبر . أينما كان المرء اذن يرى كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته . وكلما ارتقى درجة فى معالم الفوز والفلاح يسمع أصواتاً بعيدة تدعوه الى ما هو فوقها .

وكما فى الناس كذلك فى المدن . فلا يحق للوندرة مثلاً أن تصعر خدها للقاهرة ولا للقاهرة أن تشمخ بانفها على بيروت . لأن حسنات المدينة العظمى قد تكثرت فى هذه وتقل فى تلك .

المدينة العظمى هى التى لا تتداخل فى شؤونها سلطة أجنبية . هى التى يكون كل امرئ فيها تماثلاً للحرية والاخاء . هى التى يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس فى مدارسها قبل كل العلوم . هى التى تكون الصداقة فيها أمراً مقدساً والاخلاص محترماً كسر من الاسرار الالهية

قيل لبعض العرب :

— من سيدكم ؟

قالوا : — فلان

قيل : — بم سادكم ؟

قالوا : — احتجنا الى علمه واستغنى عن ديانا . وقال

سيد من العرب لقومه :

— اعلموا انى ما سدت عليكم حتى صرت عبدا لكم
أغدق على سائلكم . وأصفح عن جاهلكم . وأحوط حريمكم
وأدفع عن غريمكم . فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى . ومن فعل
فوق فعلى فهو فوقى . ومن فعل دون فعلى فهو دونى .

فهل يأتى يوجد بين المتمدنين اليوم من تجتمع فيه
هذه الخلال الشريفة كلها ؟ أفلا يحق لمدينة المستقبل أن
تفاخر سائر المدن بمثل هذا الامير ؟

وبين العرب من كان أعظم منه ، دخل ابن العباس
على علي بن أبي طالب خارج الكوفة وهو يقطب نعله .
فقال له :

— ماقيمة هذه النعل ؟

فقال ابن عباس : — لاقيمة لها

فقال له عليّ : — لهي أحب الى من إمرتكم . إلا أن
أقيم حقاً أو أدفع باطلاً .

فالمدينة العظمى هي التي يكثر فيها مثل هؤلاء الرجال
العظام الصالحين .

الجوع

إذا نضبت في البلاد الأنهار ، واستحالت السماء نحاساً
حامياً ترسل أشعة شمسها نعمة وانتقاماً فتحرق الأشجار
وتأكل النبات ، وتجفف الأرض ، وتجعل الحقول كالصحراء
يحدث في الناس مجاعة لا يد جانية فيها للإنسان

وإذا غزا الجراد زرع أمة ومروجها ، يلتهم الأخضر
واليابس كشمس النفود في الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً
يصلح للغذاء ، يحدث في البلاد مجاعة لا يد أثيمة فيها
للإنسان .

وإذا التي الوباء في أمة عصاه ، وشرع يفتك فيها
فتكا ذريعاً اوجب عليها النطاق الصحي فابعدها من خيرات
الأرض خارج تخومها ، قد تجهز عليها مجاعة لا يد جانية
فيها للإنسان

وإذا كانت أمة في حرب فحاصرها العدو وحبس عنها

الزاد فأبت التسليم صاغرة ، قد تهلك جوعاً ، ولا ذنب في ذلك
على العدو أو عليها أما إذا وطأ الجيش المحاصر أرضها وأبت
البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملجة في العصيان فقد يتخذ
الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب في
ذلك عليها

ولكن أمة طائفة أولياء أمرها ، أمة مخلدة الى السكينة
أمة بريئة طاهرة الذيل ، تربأ على الضيم صبورة ، سكوته
جلودة ، تربتها في الاقل لم تزل جيدة ، أنهارها لم تزل جارية
سماؤها لم تزل مقيمة على عهودها ترسل غيثها خيراً شتاءً ربيعاً
— في مثل هذه الامة لا تحدث مجاعة الا لاحد أمرين
— لجهل فيها أو لجور في أولياء أمرها

والمجاعة التي لا يد فيها للطبيعه أو للقضاء أو لله انما هي
جناية الانسان الكبرى على أخيه الانسان

أن خيرات الارض لتكفي أبناء الارض وان
التكافل والتعاون لمن أوليات الوجود الانساني الحضري منه
والمدنى . فاذا أغفلنا الآن البحث في أسباب المجاعة ونظرنا

في نتائجها فقط تحتم علينا النظر أيضاً في الطرائق الفعالة لازالتها
— ولازالتها سريعاً.

أمة صغيرة في بقعة قصية من الارض تنضور اليوم
جوعاً . وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها
من خيراتها أليس من العدل اذا — بل من الواجب المقدس
أن نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك الجائعة ؟ نعم . وما يصح
في الامم يصح في الافراد . وهذا التعديل في خيرات الارض
عدل لا فضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء
الامة المنكوبة أمتنا أيها الناس . الجياع فيها اخواننا .
وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة . لا والله . ليس ما
فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا . ولو كنت
من أولى السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشبعان لا طعم
الجياع — لفرضت على كل سوري مقداراً من المال يدفعه
راضياً أو مكرهاً

وماذا يضر السوري لو دفع اليوم دولاراً واحداً لا غائنة

اخوانه في الوطن . دولاراً واحداً على كل سوري الفقير
والزنى سواً

انى من أصحاب الرأي لامن أصحاب السيادة لذلك لا
أستطيع ان أضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري .
ولكنى عمات بطريقتى وبحق فدعوت اخوانى في المهجر
في مقال سبق الى الصوم يوماً واحداً يدفعون ما يوفرون
في هذا اليوم اعانة للمنكوبين . وقلت اننا اذ خبرنا الجوع
نرثى لحال الجائع فنسرع لاغاثة

وكي لا يقال انى أبشر بما لا أفعل بدأت بنفسى عاملاً
برأى . فانى محاسب لقلبي اذا مال وللسانى اذقال . لذلك
صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصالا . ودفعت
نفقة اليومين الى اللجنة وجئت في هذا المقال أطلع القارئ
على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع

فاذا كانت كلمتى في الصوم ذهبت أدراج الرياح
عسى أن يؤثر عملى فيحمل اخوانى في المهجر على الاقتداء بى
من الساعة السابعة مساء حين بدأت أصوم حتى الساعة

في نتائجها فقط تحتم علينا النظر أيضاً في الطرائق الفعالة لازالتها
— ولازالتها سريعاً.

أمة صغيرة في بقعة قصية من الارض تتضور اليوم
جوعاً . وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها
من خيراتها أليس من العدل اذا — بل من الواجب المقدس
أن نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك الجائعة؟ نعم . وما يصح
في الامم يصح في الافراد . وهذا التعديل في خيرات الارض
عدل لافضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء
الامة المنكوبة أمتنا أيها الناس . الجياع فيها اخواننا .
وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة . لا والله . ليس ما
فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا . ولو كنت
من أولى السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشعبان لا طعم
الجائع — لفرضت على كل سورى مقداراً من المال يدفعه
راضياً أو مكرهاً

وماذا يضر السورى لو دفع اليوم دولاراً واحداً لا غائنة

اخوانه في الوطن . دولاراً واحداً على كل سوري الفقير
والزنى سواء

انى من أصحاب الرأي لامن أصحاب السيادة لذلك لا
أستطيع ان أضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري .
ولكنى عمات بطريقتى وبحق فدعوت اخوانى فى المهجر
فى مقال سبق الى الصوم يوماً واحداً يدفعون ما يوفرون
فى هذا اليوم اعانة للمنكوبين . وقلت اننا اذ خبرنا الجوع
نرثى لحال الجائع فنسرع لاغاثة

وكي لا يقال انى أبشر بما لا أفعل بدأت بنفسى عاملاً
برأى . فانى محاسب لقابى اذا مال وللسانى اذقال . لذلك
صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصالا . ودفعت
نفقة اليومين الى اللجنة وجئت فى هذا المقال أطعم القارىء
على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع

فاذا كانت كلمتى فى الصوم ذهبت أدرج الرياح
عسى أن يؤثر عملى فيحمل اخوانى فى المهجر على الاقتداء بى
من الساعة السابعة مساء حين بدأت أصوم حتى الساعة

الثالثة بعد ظهر اليوم الثانى لم أشعر قط بالجوع . ولكنى أحسست بطنين فى أذنى وبتجفف فى لسانى . وبشىء من المرة فى فمى . على انى فى الساعة السابعة أى بعد مرور أربع وعشرين ساعة بدأت أشعر نوعاً بالجوع وبالعطش وبشىء من الدوار .

كنت أصيل هذا النهار أتمشى وصديق لى فى احد شوارع المدينة فررنا بمطعم صفت فى شبابه أنواع الخبز والكعك والحلويات فوقفت امام الزجاج الحائل دونى وتلك الجنة ناسياً ذاتى أمثل فى نفسى ولداً فقيراً جائعاً لا فلس فى يده يفتأ به سورة جوعه . اخترقت الزجاج عينائى وما فىهما من نهمة الى الاكل فتحلب اللعاب فى فمى فغصصت بمر مذاقه وترغرت عيناً بالدموع . هذا وانا لا أشعر حقاً بمضض الألم فى معدة فارغة وقلب يقتر شواء لانى أجوع مختاراً والمسكين الذى صورته أمامى بل أمام تلك المآكل المصفوفة وراء الزجاج يجوع مكرها . ان جوعى ينتهى ساعة أريد وأما جوعه فلا يزول الا ساعة يتصدق عليه أحد

المحسنين فقلت في نفسي أن حالة اجتماعية توجد مثل هذا
المسكين الجائع لحالة ذميمة، منكرة، فاسدة، جهنمية. وإذا
كانت كذلك فكيف بها والمسئولون عنها يجوعون عمداً
أمة بأسرها؟

لقد شاركتك جوعك يا أخى فتعال أقاسمك كسرتنى
عله تعالى يبعدنى من ذل الحاجة والاستجداء الذى هو أشد
ويلا من مضض الألم الذى يولده الجوع. الا فليردد كل
سورى هذا الكلام — هذا الابهال وليمثل حول مائدته
الفاخرة صبيغاً فقيراً عضه الجوع، أنهكه، أقعده، أضناه،
أورثه الهزال والخبيل فيسارع الى اغاثته.

ومن غريب أمر الصوم ان صاحبه لا يشعر بالجوع
الا في الساعات التى اعتاد أن يأكل فيها. فانى بعد ان أتمت
الساعة العاشرة استفتت نصف الليل ولا اثر فى نفسى
للصوم، كأننى قضيت البارح وقد اكلت على عادتى ثلاث
مرات.

ولكننى نهضت صباح اليوم الثانى وفى ساعة الفطور
نهمة الى الاكل . وهذا لاشك من قبيل العادة . على أن
مظاهر الجوع ازدادت نوعا وشدة . فتحت فى فاذا به
كالقطن جفافا بلغت ما تحلب من رضائى اذ مررت بركوة
القهوة فاذا به أبرد من الحنظل . نظرت الى لسانى فاذا به
أبيض كالليب . لمسته باصبعي فاذا به كعباءة الراهب
خشونة . أما أذناى فازدادتا طيننا . وأحسست أن رأسى
جسم غريب ركب موقتا بين كتفى . نزلت الدرج وعدت
الى غرفتى فألمت بى نوبة من الارتعاش شديدة أقعدتنى
بضع دقائق وأنا أرتجف حتى أطرافى . وكنت أثناء ذلك
أحس بموجات حارة تماوج فى داخلى وبالاخص فى جوار
المعدة .

فقلت فى نفسى قد عضك الجوع يارجل . قد دنوت
من اخوانك فى الوطن . نعم بدأت فى اليوم الثانى أشعر
بالجوع وأتألم من شعورى . فهذا الضعف فى رجلي
وبالاخص فى مفاصلى وركبتى ان هو الا احتجاج المعدة على

صاحبها . بل على بارئها . بل على من في أيديهم خزائن
الأرض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله .
مررت بركوة القهوة ثانية فوقفت أمامها راغبا
مترددا ثم امتنعت لأنني آليت على نفسي أن أصوم يومين
كاملين . وفي البيت المقيم فيه أناس في الدور الاسفل
يطبخون طعامهم فتصاعد أحيانا روائح المطبوعات فتسطع
في منزلي وترعجني جدا . ولكن اليوم يوم الصوم والجوع -
فان امرءاً يقتر شواء يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار
الى منزلي لاجب عندي من مطرب أو مطربة . وان روائح
الشواء والابازير في أنفي لالذ من روائح المسك والبخور .
ولت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولاغرو
فان للعادة حتى في الاكل كما قلت تأثيرا شديدا فينا . اذ
ما السبب يا ترى في رغبتى بالطعام في ساعات اعتدنا أن
تتناوله فيها وفي نسيانه بل الرغبة عنه في الفترات بينها ؟ أما
الفكر منى ففي اليوم الاول من صومى كان لم يزل رائقا

صافيا . ولكنه في اليوم الثاني أصبح خاسئا حسيرا .

ومن غريب أمر الصوم أيضا أن الذى يصوم يومين يستطيع أن يصوم خمسة بل عشرة أيام وصالا . فانا في مساء اليوم الثاني لم أشعر بشهوة الى الاكل شديدة كمساء اليوم الأول . وقد قرأت أخبار اناس صاموا أسبوعين وثلاثة دون أن يتعطل فيهم عضو من أعضائهم الحيوية كالكبد أو الكليتين أو الرئة أو القلب .

ومعلوم أن الاقدمين كانوا يكثر من الصوم والتنحس . وقد قال ابن خلدون — « وقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوما وصالا » .

على أنه لا ينكر أن الصوم أياما وصالا يفقد المرء قواه الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلص وتذوب من الاقتيات مما كونت منه وأن العقل ليخسأ ويمرض من تشرب دم لاغذاء فيه ، أى أن الصائم طويلا الطاوى أياما يعيش على لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه .

نعم اخواني . ان الجائع يعيش على لحمه ودمه . والجائع كرها
يقاسى من مضض الذل - ذل الحاجة وذل الطلب - ما هو
أشد من مضض الجوع

كتبت مرة نبذة أنتقد فيها بعض التعابير العربية
التي رددتها نحن الكتاب وقلما نتحقق تمام معناها . من
جملتها قولنا . « الجوع المدقع » فاستغربت اذ عدت الى
القاموس النعت وقلت أن لا أحد يجوع جوعا يلصقه بالدعاء
أى التراب ، فهما اشتدت سورة الجوع لا تبلغ درجة يصح
أن ننعثها بالدقوع ، ولكنى تحققت اليوم خطأى ، فان
الجوع يوهن ، يهزل ، ينهك ، يقعد ، يهلك ، واذا كان
الجائع هائما فى البرية يطلب الاعشاب يقات بها فليس من
الغريب أن يسقط فى الطريق من شدة الجوع ، نعم رأيت
كلاب السوق فى الشرق فى جوع الصلق بطونهم ووجوههم
بالتراب ، وكنت أجل البشر عن ذلة الكلاب وجوعهم
فواأسفاه ! اننا لنتحقق اليوم من حال بلادنا صحة
التعبير العربى بل تحققنا التقصير فيه لا الغلو ، مئات بل

أُوف من اخواننا مطرووحون اليوم في الطرق والاسواق
تتلاشى أجسامهم عضوًا عضوًا، عيونهم شاخصة الى الشمس
نهارا الى السماء والنجوم ليلا ، يسألون باري الاكوان كسرة
من الخبز ، قلوب واجفة ، أبصار خاشعة ، نفوس حزينة
حتى الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق أجسامهم
بالدقماء — بالتراب . في فهم المرة الصفراء — مر الحياة —
يبتلعونها ثم يبتلعونها ، في أعصابهم الملتصقة غصن الرعشة
في أجسامهم المرض والوهاء.

شيوخ وأطفال ، نساء ورجال ، يسارعون الى المدينة
من الجبال عليهم يلتقطون — فأسواقها ومن فضلات ذوى
اليسار فيها كسرة من الخبز فيتساقطون في الطرق كورق
الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع . أفلا تشاركهم
جوعهم يوما واحداً أيها السورى ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من
أيام يسرك !

ووالله لو مر بهؤلاء المناكيد الجياع وحش ضار أو
عقاب كاسر لمال بوجهه عليهم ، لرثى لحلمهم . واننا نعلم ان

في الحيوان غريزة هي أشرف من غريزة الانسان التي أفسدتها المدنية والتكالب فيها. فمن الطيور من يطعم صغارها من قلبها اذا لم تجد لهم رزقا.

فيا أيها السوري النائي عن اخوانك المنكوبين جئت أخبرك خاشعاً لا مفاخرأ اني صمت يومين فانهكنى أقعدنى يوم واحد من الجوع. فكيف بمن يصومون أياما بل أسابيع؟ اليوم! اليوم! من كان غنياً فليستغف! من كان متردداً في التبرع فليتقدم! من كان متقاعداً فلينهض! من كان في سبات فليستفق! وما الفائدة من القول غدا غدا فان مثل هؤلاء المستحجرة قلوبهم يلوحون بثر بدتهم للجائع الاقرب الى الضارى من الحيوان منهم الى الانسان.

قد نعيم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعيم الصوم! التقشف يوما واحداً! تملكون تلك النفس منكم الشارحة الى اللذات فان مثل هذه السيادة على أنفسكم لا شرف من وجاهة يجرها لكم المال. صوموا يوماً واحداً وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم. الامة أمتنا جائئة على (٧ — مختارات)

قارعة الطريق تن من ألم الجوع — الجوع المدقع ، الجوع
المهلك ، فهلا تسارعنا، بل تسابقنا الى إغاثتها؟ « اليس بلسان
في جلعاد؟ »^(١)

(١) ننقل للقراء الكرام بمناسبة هذه المقالة ما جاء في
جريدة الاهرام الغراء (عدد ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠) وهو

صوم والي كورك

منذ ١٢ أغسطس الي اليوم

قبض الانكليز على ماك سويني حاكم كورك الارلندية
لاشتراكه بكيد المكاييد للضباط والجنود مع جماعة السن فين
وسجنوه في لندره فانقطع مختاراً عن الاكل والشرب منذ ١٢
أغسطس الى اليوم ولكنه لم يمت والرجل مشهور بانه من زعماء
الارلنديين وبانه يتولى قيادة آلاى المتطوعين ويدير الحكومة
الارلندية الجمهورية وقد باع املاكه الواسعة وأنفق ثمنها في سبيل
الدعوة الارلندية ولما كان سلفه قد مات قتلا فانه تنازل عن
نصف راتبه لارملة ذلك السلف .

وليس عجيباً ان يعيش الانسان ٣٠ يوماً بلا طعام فنذ عهد

ريح سموم

وبربك القيوم ، ما الذى تظنه يدوم ، صوت سمعته
فى الكروم ، وقد مرت عليها ريح سموم ، خفت الارض
وعادت جزرة كثيرة الكلوم ، وسقطت الجفان عن فسائلها
وفزعت أوراقها الى الغيوم ، صوت صارخ من وراء النجوم
ما الذى تظنه يدوم ؟

ليس بعيداً صام المسمي سو كشي ٤٠ يوماً ولكنه كان يشرب كل
يوم كأساً واحداً من الماء المحلى بالسكر . ويقول الاستاذ ان
مستر لزون وشوسات أن الصائم لا يموت الا اذا فقد ثلث وزنه
وقال أحد أساتذة مدرسة الطب العليا فى باريز كلما كان الصائم
كثير الشحم طال عمره ولكنه يشترط لطول الحياة ان يظل
الصائم بلا حركة حتى لا يضع ما فيه من حرارة الحياة . وبما أن
متوسط حرارة الحياة فى جسم الانسان ٣٧ درجة فلهبوط الى
٢٤ درجة يقضى الى الموت حتماً والذى يخشى منه على الصائم تسمم
الدم ولكنهم يتفادون عن ذلك بشرب الماء الذى يحول دون
هذا التسمم وبواسطة الماء يؤجل الموت أياماً بل بضعة أسابيع

من صروح زاهية نخيمة ، من رياض زاهرة كريمة ،
من بروج شاهقة عظيمة ، من معامل حديثة أو قديمة ما
الذى تظنه يدوم ؟

من اسراب منورة تحت الانهار ، من أرتال فيها تدفعها
الكهربائية أو يجرها البخار ، من بوارج ماخرات في
البحار ، من اساطيل تنذر بالدمار ، من معالم في الامصار
والاقطار ، ما الذى تظنه يدوم ؟

من انفاق تحت الارديم ملؤها عجاجة ، تنفثها وتثيرها
القطر الولاجة ، من قباب بين السحاب وهاجة ، من
جسور فوق المياه جسيمة ، من متاحف في عواصم العالم
نخيمة ، ما الذى تظنه يدوم ؟

من سدود محكمة منيعة ، من خليج كونتها الطبيعة ،
من ترع تؤلف بين البحار ، وتجمع بين بعيد المطارح
وشاسع الديار ، من خطوط حديدية تطوق الارض ، من
أسلاك برقية تطوق المسافة في الطول والعرض ، ما الذى
تظنه يدوم ؟

من أبنية ذات الطبقات العشرين ، من احياء في المدن
الكبرى ياوى اليها المساكين ، من معابد ويبيع لا أثر فيها
للدين ، من أصمقاع لا صوت فيها للصالحين ، ما الذى تظنه
يدوم ؟

من قصور مكتنفة برياض خضراء ، من صروح الكبراء
والأمراء ، من بيوت الرؤساء والأغنياء ، من أكواخ
البؤساء والفقراء ما الذى تظنه يدوم ؟

من شرائع وديساتير ونظامات ، من تقاليد وعوائد
وخرافات ، من أديان وعقائد وخزعبلات ، من دول وممالك
وحكومات ، من أحزاب وطوائف وجماعات ، ما الذى
تظنه يدوم ؟

صوت صارخ من وراء الغيوم ، صوت ريح سموم ،
أى شئ يدوم .

مهلاً مهلاً ان هذه كلها لصالحة فى ذاتها ، ان هذه
كلها لحسنة فى وقتها ، لكل شئ من العز والمجد أركان ،
لكل شئ من أبناء البطر والأشر أعوان ، لكل شئ برهة

من دهره الوستان ، ساعة أو عام أو حين من الزمان ،
الطويل من الدهر والقصير سيان ، ولكن قل لى بربك
القيوم مبدع الشمس والنجوم ، أظنها الى الأبد تدوم ؟
الى حين يا أخى الى حين ، إى ورب العالمين الى حين ؛
وبعد فقل لى هل أنت من الممترين ، أم أنت من المفندين
السائلين ؟

أما فى زمانك تأملت المغاور فى الصخور ، فاذكر أن
الأمطار والرياح تكونها ، والأمطار والرياح تهدمها ، ان
كل صالح مقبول حتى يظهر على ميدان العالم قائم على المظالم
البشرية ، أو مناضل عن الحقيقة الأخوية ، أو باذل مهجته
فى سبيل الانسانية ، ان كل شىء فى مركزه حريز حصين ،
الى أن يزله رجل حصيف رشيد ، أو امرأة صالحة ذات
رأى سديد ، فيعلو اذ ذاك صوت المطالب بحقوق
المستضعفين المستذلين ، ويلحق الجبارون بالأخسرين ، أبد
الآبدن ودهر الداهرين .

وبعد أن تلاشت ريح السموم فوق الجبال ، تلاها

نسيم لطيف الاعتلال ، فدخلت معه غابة من الصنوبر
كثيفة الظلال وسمعت من خلال الأغصان ، صوت
المحبة والمعروف والحنان ، سمعت صوتاً يقول وربّ الاكوان ،
لا يدوم إلا الاحسان والعرفان ، لا يدوم إلا السجايا الروحية
الفريدة ، سجايا النفس البشرية الخالدة ، لا تدوم إلا آثار
النهضات الجليلة ، وما أثر الأنفس السامية النبيلة ، وما
أسخف الجدل الوهمي امام مشروع جليل ، وما أوهن
التعاليم الوضعية في وجه خطب جسيم ، وما أوهى الأقوال
والآراء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم ، أو صادفت
نفحة من نفحات حكيم ، وعند ما يرفع مثل هذا رأسه
وصوته ولا فرق عندى رجلاً كان أو امرأة يقف دولا ب
الأعمال ، ولا يبقى شئ على حال ، عندئذ يبطل الجدل ،
وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال ،
يومئذ تنقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطغاة الجفاة ،
عندئذ تتغير العادات ، وتهب على الأرض الذاريات
السافيات ، فيسأل السائل من وراء النجوم أين مالكم

ونفوذكم ، أين تقاليدكم وعقائدكم ، أين شرائعكم وديانتكم ،
أين حصونكم وصروحكم ، أين مصالحكم ومعاهدكم ، أين
زخرفكم وسفاسفكم . فقل ان هي الا برهة من الدهر
الوسنان ، ساعة أو عام أو قرن من الزمان ، قل ورب
الأكوان ، لا بقاء لما سوى آثار الجد والعرفان ، والمعروف
والحب والاحسان ، فهي هي الجبال الراسيات ، وهي هي
الحصون الراقيات ، وهي هي الباقيات الصالحات . بلى
 ورب السماء والنجوم ، لن تدوم إلا آثار النفوس الطاهرة
 ووجه ربك الحى القيوم .

ميخائيل نعيمة

كاتب شاب لم يبلغ الرابعة والثلاثين حتى الآن .
ولكنه أدرك من الأدب شأواً يقصر دونه الكثيرون .
وُلد في بسكتتا بلبنان وتلقى دروسه الابتدائية في
مدرسة للروسين هنالك ثم انتقل منها الى المدرسة الروسية
الداخلية في الناصرة . فدرس فيها أربع سنوات انتدبته
المدرسة بعدها للذهاب الى روسيا لاتمام دروسه في
مدارسها العالية . فسافر الى مدينة بلتافا ودخل كليتها وأنهى
دروسها . ثم غادر روسيا الى أميركا ودرس الحقوق في
جامعة واشنطن ونال شهادتها في الشريعة عام ١٩١٦
ميخائيل نعيمة من الساعين في تأسيس عصر ذهبي
للآداب العربية في المهجر . وله تفنن ومهارة ومقدرة في

الانتقاد قلما يجاريه فيها أحد . والأدباء يتوسمون فيه منتقداً
جريئاً ساعياً في تسيير الآداب العربية على منهاج التقدم ،
منكباً على تنقية حقل الأدب من زوان الكويتيين
والشعاريير . وله « رواية الآباء والبنون »



الرواية التمثيلية العربية^(١)

حنق البعض على الغرب لاعتقادهم أن المدنية الغربية
نفشت في حياتنا الجميلة الطاهرة ، الرائعة بأمن تحت أجنحة
الملائكة والقديسين ، روح فسق وخلاعة وكفر . وتغنى
الآخرون بعظمة الغرب فصاحوا بنا — هيا نعبد الغرب
وكل ما خلقه الغرب !

أما نحن فترى الأفضل أن نقف على الحياد بين
أولئك وهؤلاء ، تاركين لهم حق تسوية خلافهم بالمدى
والفؤوس إذا أرادوا ، بشرط أن لا يعارضونا إذا تجاسرنا أن
نعترف ولو بفضل واحد للغرب — وهو فضل آدابه على آدابنا
ماتعود البعض أن يدعو « نهضة أدبية » عندنا
ليس سوى نفحة هبت على بعض شعرائنا وكتّابنا من
حدائق الآداب الغربية ، فدبت في مخيلاتهم وقرأتهم كما
تدب العافية في أعضاء المريض بعد ابلاله من سقم طويل .

(١) توطئة لرواية « الآباء والبنين »

والمرض الذي ألمَّ بلفتنا أجيالا متوالية كان شللا أوقف فيها حركة الحياة وجعلها بعد عزها السابق ، جيفة تتغذى بها أقلام الزعانف المستعبدین وقرائح « النظامين » والمقلدين . أما اليوم فقد رجعنا الى الغرب ، الذي كان بالأمس تلميذنا ، لنقتبس عنه أمثلة جعلناها حجر زاوية « نهضتنا الأدبية » وتلك الأمثلة هي أن الحياة والأدب توأمان لا ينفصلان ، وأن الأدب يتوكل على الحياة ، والحياة على الأدب ، وأنه — أغنى الأدب — واسع كالحياء ، عميق كأسرارها ، ينعكس فيها وتنعكس فيه . أدركنا — بفضل الغرب — أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب ، والمدح والهجاء ، والوصف والرثاء ، والفخر والحماسة . لذلك أطربتنا نعمة بعض شعرائنا الحديثين الذين تجاسروا أن يتعدوا هذه الحدود المقدسة . وانتقلت إلينا — بفضل الغرب كذلك — الرواية ، أو ما يدعونه بالانكليزية (نوفل) وبالافرنسية (رومان) . وكنا أسبق الناس إليها ، فوجدنا فيها مجالا واسعا لوصف الحياة والتأثير على العقول والقلوب

بواسطة القلم ، وأدركنا أن النثر لا ينحصر في صف الكلام المسجع ، والأكثر من الالفاظ الشاردة المدفونة في بطون المعاجم ، وتحبير المقالات المملة في مواضيع مبتذلة ، فقام بيننا بعض من جربوا أن يمثلوا حياتنا اليومية في روايات وطنية .

وهذه خطوة الى الأمام .

لكن « نهضتنا الأدبية » لا تزال في الأقطعة ، وما نطقت به حتى اليوم ليس سوى لثغ طفل لا يزال مقيد اللسان ، محدود العواطف ، ضعيف العضل . وقد لا يحق لنا أن نلومها على هذا الضعف . لكننا لا نكتم أن رجاءنا بمستقبلها يضعف عند ما نراها قد أهملت باباً كبيراً من أبواب الأدب لو خيّر الغرب بينه وبين بقية الأساليب الكتابية لاختاره دونها . نحن نعني — الدراما — الدراما رافقت الآداب الغربية منذ نشأتها حتى هذه الساعة فأصبحت ركناً من أركانها . وأقام لها الغربي المعاهد التمثيلية (التياترو) فأصبحت هذه جزءاً من حياته اليومية كالمدرسة

والبيت والكنيسة . فى التياترو تجد نفسه الجامعة المثقلة
بأتعاب العمل وهموم الحياة راحة وتعزية وقوتاً . من أحوال
عيشته التى يشابه صباحها مساءها ويومها أمسها ترتفع روحه
الى عالم تجول فيه العواطف البشرية بين جميلها وقبيحها ،
وضعيفها وقويها ، وشريفها ودنيئها . يرى بعينه على المسرح
بشراً مثله غائصين فى معركة الوجود يكشفون أمامه أسرار
قلوبهم وخبائث ضمائرهم فيجد فى هذه الأسرار وبين تلك
الخبائث قسماً من الذات التى يدعوها « أنا » ويستعين
بعضها على اصلاح نفسه والاضافة الى خزانة اختباره .
يضم المؤلف والممثل قواهما — الأول بأفكاره والثانى
بصوته وحرركاته — ليخترقا حرمة انفراد الذاتى ، فيدخلان
زوايا قلبه ويمسآن كل أوتاره ويفتشان بين طيات ضميره
ويحركان دولاب أفكاره — وبالأجمال يوقضان فيه كل
قوى الوجود فيشعر أنه كأنه حي ورب كلمة تقع فى أذنه
فيحتضنها للحال عقله وتختمر بها روحه ، أو رب حركة من
يد الممثل ينتفض لها قلبه ، أو رب مشهد يهزه بكليته كما

تهز العاصفة شجرة من جذورها . لكن هذا التأثير في السامع والناظر لا يمكن احداًه إلا اذا كانت الرواية مشهداً حياً من مشاهد الحياة الحقيقية وكان الممثل قادراً على فهم أفكار المؤلف وغايته وتفسير هذه الأفكار وتأدية تلك الغاية الى السامع بواسطة الصوت والحركات . فلذلك يتوكل المؤلف على الممثل ، والممثل على المؤلف . وغير خفي أن أفضل الروايات في يد ممثل ضعيف تضع كل قوتها وروتقها ، وبالعكس — ان الممثل الحاذق يلبس أحياناً أبخس الروايات حلة جمال وقوة . ولذلك رفع الغرب شأن الممثلين كشأن المؤلفين فأجزل عظامهم بالمال وأحاطهم بالشهرة في الحياة ، وطيب ذكركم بعد الموت .

فماذا فعلنا نحن ؟

نحن لا نزال ننظر الى الممثل نظرنا الى « بهلوان »
والى المثلة كعاهرة ، والى التياترو كمقصف ، والى التمثيل كنوع من القصف واللبو . شعبنا لم يدرك بعد أهمية فن التمثيل في الحياة لأنه لم ير بعد روايات تمثل أمامه مشاهد

من حياة يعرف ألفها وياءها ، لم ير بعد نفسه على المسرح .
واللوم عائد على كتابنا لا على الشعب . جلّ ما قدمناه حتى
الآن الى الشعب من الروايات التمثيلية ينحصر في بعض
روايات معربة أكثرها من سقط المتاع وكلها غريبة عنه ،
بعيدة عن أذواقه ، قصية عن مداركه . أنا لا أشك قط في
أننا سنرى عندنا : عاجلاً أو آجلاً ، مسرحاً وطنياً تمثل عليه
مشاهد حياتنا القومية ، انما يقتضى لذلك قبل كل شيء أن
يحول كتابنا أنظارهم الى الحياة التي تكرّ حولهم كل يوم ،
الى حياتنا بعجزها وبجرها ، وأفراحها وأتراحها ، وجمالها
وقباحتها ، وشرها وخيرها ، وأن يجدوا فيها مواد
لأفلامهم — وهى غنية بالمواد لو دروا كيف يبحثون عنها .
يبشرنا الانقلاب الذى طرأ مؤخراً على آدابنا بقدم
تياترو وطنى ولو كانت العقبات فى طريقه لا تزال كثيرة .
من هذه العقبات وهم اجتماعى لا يزال راسخاً فى عقول
الكثيرين هو ان التياترو يفسد الأخلاق الطاهرة —
لا سيما أخلاق البنات والنساء . رحمتك ياربى ! ومنها فقرنا

الى الكتاب الروائيين والروايات التمثيلية الوطنية . لكن
أكبر عقبة صادفتها في تأليف « الآباء والبنين » —
وسيصادفها كل من طرق هذا الباب سوى — هي اللغة
العامة والمقام الذى يجب أن تعطاه في مثل هذه الروايات .
فى عرفى — واظن الكثيرين يوافقونى على ذلك — أن
أشخاص الرواية يجب أن يخاطبونا باللغة التى تعودوا أن
يعبروا بها عن عواطفهم وأفكارهم وان الكاتب الذى يحاول
أن يجعل فلاحا أميا يتكلم بلغة الدواوين الشعرية والمؤلفات
اللغوية يظلم فلاحه ونفسه وقارئه وسامعه ، لا بل يظهر
أشخاصه فى مظهر الهزل حيث لا يقصد الهزل ويقترب
جرما ضد فن جماله فى تصوير الانسان حسبما نراه فى مشاهد
الحياة الحقيقية . هناك أمر آخر جدير بالاهتمام متعلق باللغة
العامة — وهو أن هذه اللغة تستر تحت ثوبها الخشن
كثيرا من فلسفة الشعب واختباراته فى الحياة وأمثاله
واعتقاداته التى لو حاولت أن تؤديها بلغة فصيحة تكون
كمن يترجم أشعارا وأمثالا عن لغة أعجمية . وربما خالفنا فى
(٨ — مختارات)

ذلك بعض الذين تأبطوا القواميس وتسלحوا بكتب
الصرف والنحو كلها قائلين ان « كل الصيد في جوف الفرا »
وان لا بلاغة أو فصاحة أو طلاوة في اللغة العامية لا يستطيع
الكاتب أن يأتي بمثلا بلغة فصحي . فلهؤلاء ننصح أن
يدرسوا حياة الشعب ولغته بامعان وتدقيق .

الرواية التمثيلية . من بين كل الأساليب الأدبية .
لا يستطيع أن تستغنى عن اللغة العامية . انما « العقدة » هي
أننا لو اتبعنا هذه القاعدة لوجب أن نكتب كل رواياتنا
باللغة العامية إذ لس بيننا من يتكلم عربية الجاهلية أو
العصور الإسلامية الأولى ذلك يعني انقراض لغتنا الفصحى .
ونحن بعيدون عن أن نبتغي هذه الملمة القومية . فأين المخرج ؟
عبثا بحثت عن حل لهذا المشكل فهو اكبر من أن يحله
عقل واحد . وجل ما توصلت اليه بعد التفكير الطويل أن
أجعل المتعلمين من أشخاص روايتي — كداود والياس
وزينة وشهيدة وناصيف بك — يتكلمون لغة معربة .
والاميين — كأُم الياس — أن تتكلم اللغة العامية . أما خايل

سمّاحه — وان لم يكن امياً تماماً — فقد رأيت الأخرى ان
أجعله يتكلم العامية لأنها توافق اطباعه ومداركه . وكذلك
موسى بك في حديثه مع ام الياس وفي بعض المشاهد التي
تليق بها اللغة العامية أكثر من الفصحى . لكنى اعترف
باخلاص أن هذا الأسلوب لا يحل « العقدة » الأساسية
فالمسألة لا تزال بحاجة الى اعتناء أكبر رجال اللغة وكتابها
والمشكل الآخر الذي وقفت امامه حائراً سائلاً هو
ضبط كتابة اللغة العامية بطريقة تزيل الالتباس والابهام
وتؤدي اللفظ المقصود . تركت أمر « اللهجة » التي تختلف
كثيراً باختلاف المقاطعات والامكنه الى فطنة الممثل
وحذاقته لكننى أحجمت تهيباً عن أن اضع لاجل هذه
الروايات وحدها اصطلاحات لضبط الكلام العامي . ونحن
بحاجة ماسة الى هذه الاصطلاحات اذا أجبنا أن تقرب
من الشعب وتهذب باقلامنا . العامة تستعمل حروفاً لا وجود
لها بين حروف الهجاء المعروفة مثل (C.E.O) الأفرنسية
وتلفظ القاف في أكثر المحلات كالهجرة . فيجب أن نضيف

الى لغتنا بعض اصطلاحات تقوم مقام هذه الحروف . انما
يجب أن تكون هذه الاصطلاحات عمومية كي لا يحدث
تبلبل وتشويش حيث تقصد اتفاقا ووحدة . فمن يقوم لنا
بهذه المهمة ؟ لو كان عندنا مجلس أدبي أو شبه اكاديمي
لالتقينا على حاتقه هذا الأمر . أما ولا اكاديمي لنا فهل
تصدق الأحلام وتحمل الغيرة على اللغة العربية وآدابها
بعض ادبائنا في الشام ومصر على تأليف هيئة دائمة تعنى
بترقية اللغة والمحافظة عليها وتكليفها بموجب الزمان
والأحوال ؟

افضل ألا أقول شيئا عن أشخاص الرواية أو الرواية
نفسها سوى أنى حاولت أن ألج فيها طرفا محدودا من
موضوع حيوى كبير فى حياة الأمم جمعاء . — وحياة شرقنا
على الاخص — ذاك هو الخلاف الابدى بين الآباء والبنين
والتباين الدائم بين القديم والحديث . واذا لم يكن نصيبى
منها سوى دفع بعض كتابنا الاوفر مقدرة منى فى معالجة

مواضيعنا الاجتماعية على تأليف الروايات التمثيلية فقد نلت غايتي.

إذا شئنا أن نرفع آدابنا من المستنقعات التي تترغ فيها فعلينا أن نسعى من الآن لوضع أساس متين للمسرح العربي بتربية أذواقنا التمثيلية وتعزيز الرواية الوطنية . حتى اذا نهضنا كانت « نهضتنا » نهضة جبار أفاق من نوم طويل لانهضة عاجز فتح عينيه ليرى الموت أمامه.

أُتْمُوذَج من الر وايتة^(١)

شهيدة — ما أغرب أطوار أمك ! أتصدق أنى لم أرَ
دموعها حتى اليوم وما أشد تأثير دموع من عين امرأة
جبارة ؛ مستبدة كأُمك . (تجلس على المقعد)

الياس — (واقفاً) لعلها تكفر بهذه الدموع عن هفواتها
السابقة ، لكن دعينا من البكاء الآن . فلا دموع أُمى ولا
بحار مثلها قادرة أن تعكركا أس سعادتى . (بحرارة) شهيدة !
(يأخذ يديها فى يديه وينظر فى عينيها .) أنت لى الكل
بالكل فى هذا العالم . وأكاد أعتقد أن العناية الالهية
قد أرسلتك لنجاتى . شهيدة ! أنا عاجز أن أفسر لك أهمية
حبك فى حياتى . قد مرتبى أكثر خمسة وعشرين ربيعاً . وفى كل
ربيع كنت أخرج الى هذه الحديقة وأرى هذه الاشجار
مزهرة وأسمع هذه العصافير تزقزق وأرى السماء الزرقاء
وأشعر بصوت النسيم الليل . لكنى قبل هذا الربيع لم

أكن أرى الجمال فى كل ذلك واليوم لا أرى الازهار فقط بل أرى الحياة تدب فى عروقها وأكاد ألس أريجها . اليوم لا أرى زرقة السماء فقط بل أرى ماوراء السماء ولا أشعر بالنسيم فقط بل ألس روح النسيم . وأسمع تغريد العصفور فأفهم مايقوله العصفور . وكل ذلك لأن حبك قد أعطانى نوراً جديداً لعينى وقد كنت بدونك أعمى (يضع يدها اليمنى ثم اليسرى على فمه ثم يجلس بجانبها .) شهيدة ! ما أجل الحياة !

شهيدة — (تقهقه مخرجة من جيبها ورقة تقرأ بتمهل)
بتاريخه نحن الواضعين أسماءنا أدناه قد تعهدنا أن نضع حداً
لحياتنا بواسطة المشنقة... (تضحك)

الياس — (يخطف الورقة من يدها بلطف باسمًا) ألا
يكفيك هزءا لى حتى تذكرينى بجنونى فى مثل هذه الدقيقة
التي أحسبها بدأ حياة جديدة لى ؟ كأن دهرًا قد مر من يوم
كتبت هذه الورقة حتى هذا اليوم ، لندفن الماضى ! (يمزق
الورقة قطعاً صغيرة) فأنا أتعهد الآن على نفسى أن أشق

كل من لا يرى في الحياة سوى أشواكها وكل من يفرق
بين قلبين يربطهما حب كحبنا . (تظهر في الباب أم الياس
وقد أخذت زينة بيدها اليمنى وداود باليسرى و خليل يمشى
وراءهم والكل يسرون نحو الياس وشهيدة) .

شهيدة — (بمزح) أو تشنق أمك كذلك اذا أصرت
على رفضها بقبول اتحادنا ؟ (اذ ترى أم الياس قادمة) هاهي
قادمة نحونا — فماذا تفعل إذا اقتربت مني وصاحت — « اغربني
عن وجهي ؟ » (تبسم) .

الياس — أنا أكفل رضاها . أنا أعرف كيف
أرضيها الآن .

من أنت يا نفسي

إن رأيت البحر يطغي الموج فيه ويشور
أوسمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
ترقي الموج إلى أن يجس الموج هديره
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه

هل من الأمواج جئت ؟

ان سمعت الرعد يدوي بين طيات الغمام
أو رأيت البرق يفري سيفه جيش الظلام
ترصدي البرق إلى أن تخطفني منه لظاه
ويكف الرعد لكن تاركا فيك صده

هل من البرق انفصلت ؟

أم مع الرعد انحدرت ؟

إن رأيت الريح تذري الثالج عن روس الجبال
أوسمعت الريح تعوى في الدجى بين التلال

تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغيه
وأناديك ولكن أنت عنى قاصيه
في محيط لا أراه

هل من الريح وُلدت ؟

إن رأيت الفجر يمشى خلسة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منك اليه
وتخرى ، كنبى هبط الوحي عليه
بخشوع جائيه

هل من الفجر انبثقت ؟

ان رأيت الشمس فى حوضن المياه الزاخرة
ترمق الارض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس وقلبي يشتهى لو تهجمين
وتنام الارض لكن أنت يقطى ترقبين

مضجع الشمس البعيد

هل من الشمس هبطت ؟

ان سمعت البلبل الصياح — بين الياسمين
يسكب الالخان ناراً في قلوب العاشقين
تلتظي حزناً وشوقاً والهوى عنك بعيد
فأخبريني هل غنا البلبل في الليل يعيد
ذكر ماضيك اليك
هل من الالخان أنت ؟

إليه نقسى — أنت لحن في قد رنَّ صداه
وقعتك يد استاذ خفى لا أراه
أنت ريح ونسيم أنت موج ، أنت بحر
أنت شمس أنت رعد أنت برق أنت جفر
أنت جزء من إله !

الشعر والشعراء

بحث إنتقادی أدبی

٣

حرية الابداع

قوانين الشعر . كسواها من الشرائع والسنن . تقيد
الحر . وتعتق المقيد . فهي سجن للقريحة الوقادة ومسرح
لأتحد أطرافه للقريحة الخامدة . دعوني أبسط هذه الحقيقة
بالمثل .

تصوروا حظيرة محاطة بسياج من الشوك . فيها
الأسد والضبع والنمر والذئب والثعلب والأرنب والخروف
والحیة والسلحفاة وربوات من هوام الهواء وحشرات
الارض . تحفرها زمرة من البدو مدججة بالرماح والسيوف
والنبال . وتصوروا أن أكبر فضيلة يطلبها صاحب تلك
المخلوقات منها هي بقاءها ضمن السياج .

يتخطر الأسد ذهاباً وإياباً فيصل إلى السياج وينظر
إلى ما وراءه فيرى فضاء لا يحده مجالاً لا يقاس . يسمع
نبضات قلبه تتضاعف ويشعر بنار تتأجج في صدره .
أصوات تناديه من الغابات . وأشباح في الفضاء تسحر
أبصاره ونسمات من الجبال تزيد ناره ضراماً وتولد تحت
أرجله مناخس لا ترحم ولا يطاق ألماً . انظروا إلى عضلاته
تتجمع وتتوتر وإلى عينيه تقدحان شرراً . وقد تحفز للوثوب
من فوق السياج ليلبي دعوة الغابات ويخفف دقات قلبه .
« قف ! » — خيال الخفير يمر أمامه فيذكره أن
بقاءه ضمن السياج هو أكبر فضيلة . بل الفضيلة الوحيدة
التي يطلبها منه صاحبه . والأسد ليس آخر المخلوقات في
طلب الفضائل إذا كانت ترضى صاحبه فيرتد عن السياج
وقد فارق البرق عينيه وسكنت لواعج النار في صدره .

كذا يفعل النمر والذئب والضبع . ولكن الآلام التي
يقاسونها وغصات الفؤاد التي يشعرون بها عند ارتدادهم

عن السياج تختلف باختلاف أطباعهم . وشتان بين النمر
والحمل .

هنا يتقدم ابن آوى الى السياج وبيننا هو يحفر بيديه
منفذاً ليخرج منه يرى صاحبه يقترب . وعصاه فى يده
فيحنيه بلطافة فائقة ويسأله عن صحة « المدام معلمته » ويعود
جاراً ذيل الفخر بان صاحبه لم يكتشف حيلته . وأنه لا يزال
يعده من الطائعين .

أما الأرنب فيسدنو من السياج وإذ يلقي نظرة إلى
ما وراء الشوك ويرى ظل الأشجار ويسمع حفيف اوراقها
أو يسمع وقع أقدام الخفير يقفل للحال راجعاً شاكر اربه
الذى منّ عليه بصاحب شفق ليعتنى به وبسلامته ، وليقيم
حوله الحصون والقلاع كي لا تلحقه يد أثيمة من أيادى تلك
الأبالسة المنفية خارجاً الى لاسياج حولها يقبها غدرات من
هم أشد منها ولا صاحب لها يحافظ على امنها . وفوق ذلك
فصاحبه راض عنه لانه من الطائعين

وهناك أقبلت السلحفاة تهادى وقد حفرت فى قلبها

تلك الآية الذهبية — فى الثانى السلامة وفى العجلة الندامة
لا تعد الدقائق ولا الساعات . ترى بقية الحيوانات حولها
تركض وتزأر وتزجر وتشكو وتذمر وهى تسأل ذاتها
بدهشة كلية مامعنى تلك الحركة كلها وما عسى أن يكون
سبب ذاك التذمر ؟ تسمع الأسد يئن من ضيق المجال
ويطلب الفضاء . فتتظريمنة ويسرة ولا ترى من عقبة فى
وجهها كيفما انقلبت . فتضحك حتى تنقلب بطنا لظهر
وتقول فى ذاتها حقا « إن الجنون فنون »

واذا حدث وقادتها خطواتها الى السياج يوما تدير
للحال رأسها يمنة أو يسرة وتتابع السير . ويكفيها أن
صاحبها راض عنها أبداً . فهى لم تسمع منه كلمة تأنيب فى
حياتها .

أما عن الحشرات فلا تسل . ربوات منها تدب فوق
ربوات وكلها لا تطلب أكثر من فتر من الارض . فهى
ضمن السياج آمن على ذواتها وحريتها مما لو كانت خارجه .

وفوق ذلك هي تتنعم برضا صاحبها وتفتخر بنفس الفضيلة
التي تربط النمر ورفاقه ضمن السياج.

ولو تصورتم الآن بدل سياج الشوك قواعد الشعر
العربي وبديل الحيوانات ضمن السياج شعراءنا (وليعذروني
على هذا التشبيه فالإنسان حيوان ناطق على كل حال) وبديل
صاحب الحظيرة وحراسها مئات الاجيال والدواوين التي
التفت حول أشواك السياج فحولتها الى أسنة تقطر سما
وحراب ينظر من أطرافها الموت وأكسبتها حياة هيثة سرية
غريبة فجعلتهم مقدسة في أعيننا، مرهوبة في قلوبنا ، بعيدة عن
أن يتناولها قلم الناقد أو أن يلحقها لسان المصلح .

لو تصورتم ذلك لأدر كنتم كم دفنت اللغة العربية ضمن
السياج من أرواح حرة ونسمات سماوية وقرائح حية وكم
أدخلت اليه من أرايب وسلاحف وحشرات ، ولأدر كنتم
في الوقت نفسه حالة بشرى خاطئ مثل جاء يحفر الآن
حول ذلك السياج ، بل السور الذي شادته الاجيال وقدمته

الأيام والشرائع والعادات فجعلته مدفناً لحرية الخيال وقصراً
للزعانف والديدان.

أنا أحفر ، ولا أملئ أن أززع أركان هذا السور
إلى الأبد (وحيداً لو كان ذلك في إمكانى .) إنما لى أمل
أن أجد من يضم فأسه إلى فأسى . لى أمل أن أسمع صدى
ندائى يتردد فى ألحان بعض شعرائنا الناشئين . لى أمل أن
أحرر ولو قريحة واحدة شعرية من قيود كبلتنا بها زمرة
من أبناء البادية قبل أن رأينا العالم أو رأنا العالم .

دعوا النصور تحلق فى جوها فالفضاء كله وجدلاً لهم
دعوا البزاة تسبح تحت سمواتها . دعوا الصقور تمزق الهواء
بأجنحتها وبربكم لا تحصروها مع الدجاج فى الأقنان !

إذا شقَّ عليكم أن تودَّعوا بحور الشعراً فلا سبيل لكم
أن تستغنوا عن عالمى العروض والقوافى ؟ وإن لم يسهل عليكم
أن تطرحوا الأوزان أفلا طريقة تطرح بها عنا القافية ؟
وإذا استحال علينا أن ننبد القوافى أمن الواجب أن نلصق
بكل بيت من أبيات القصيدة ذنباً و « كشكشاً » متشابهين ؟

(٩ — مختارات)

ان كانت الغاية من التفقيه تشنيف السمع فبئسها موسيقى
نشنف بها آذاننا اذا كنا نسمع بين اللحظة والأخرى
صوتاً واحداً لا يتغير كوقع الدلفة أو لقيق الضفادع !
تصوروا قصيدة من ١٢٠ بيتاً أو أكثر تسمعون فيها كل
عشر ثوان كلمة « عين ». نعم ، شجيرة هذه الموسيقى ولا
شك ، ولكن عند بدوى يسير وراء جماله فيقطع الحانة على
وزن وطئها . وما أجملنا اليوم تقلد البدوى فى نيويورك
وباريس وبيروت والقاهرة الخ !!!

حتى لو كان فى ذلك بعض اللذة الموسيقية فمن الحيف
والجهل أن نضحى لأجلها حرية الابداع فى الشاعر وأن
نطلب منه أن يشوه الفكر الذى يود نقله والصورة التى
يرغب نقشها لأجل تلك اللذة التى لا أقدر أن أدعوها ،
مع كل اعتبارى للموسيقى ، سوى بلادة موسيقية .

حرام أن نشترى الزجاج بالماس ، وأن نضحى
الجوهر فى سبيل العرض . قد دفعنا حتى هذا اليوم جزية
باهظة للقواعد والتقاليد ولا نزال ندفع ضريبة فاحشة من

الأفكار الجميلة والخيالات السحرية والصور الفنية لتلك
التقاليد عنها . ويخال لي — وأنا مؤكد تقريباً حقيقة
خيالي — ان تلك التقاليد هي أكبر الأسباب بل السبب
الوحيد الذي حرماننا من شاعر روائي كبير كهوميروس ومن
شاكله من القدماء وقضى على أبناء الضاد أن لا يكون لهم
آثار فنية شعرية كالليونان والهنود والعجم وغيرهم .

لكن تصوروا — حفظكم الله — هوميروس يكتب
الياذة أو أوديسيته باللغة العربية ! أو شكسبير ينسق
روايته الأبدية حسب قواعدنا الشعرية .

تصوروا دانت ينظم « كوميديته الآلية » بقافية
واحدة أو بعشر قواف اذا شئتم ، أو ملتن ينشد « فردوسه
المفقود وفردوسه المردود » بقافية عينية أو حائية أو
شينية ! ..

أغرب بعد ذلك أن كل ماظهر من الشعر في اللغة
العربية من عهد عاد وثمود إلى الآن لم يتعد بضعة أبواب
محصورة بين حماسة وغزل وهجو ومدح ورثاء ؟

أمن العجب ان شعراءنا اليوم لا يتجاوزون هذه
الحدود التي وضعها لهم الأسلاف ؛ أنا لا ألومهم في ذلك ،
انما لا أقدر أن أفهم كيف انهم لا يزالون يجرون نيراً ثقيلاً
تقرحت رقابهم تحته ولم يخطر لواحد منهم أن يطرحه
عن عنقه .

أنا لا أصدق بوجود شاعر عربي لم يناطح القوافي
ويطاردها ولم يصرف دقائق ، بل ساعات ، بل ليالي في
حربها والتنقيب عنها ، أنا لا أصدق بوجود واحد لم يشعر
في مثل تلك الساعات بثقل النير وضغطه وبلغات تتراكم
إلى أطراف لسانه خارجة من أعماق قلبه ، وإذا كنا إلى
الآن لم نسمع شكوى ولم نر اعتراضاً فذاك لأننا ألفنا
احتمال الضنك « على السكت » ، وكثيراً ما نفضل أن
نصبر على الضيم من أن نرفع صوته صوتاً .

الفنون الجميلة ، كسواها من مناهج هذه الحياة
وفروعها ، معرضة للظلم والفساد والعبودية والاستبداد فهي
تحتاج بين الفرصة والأخرى إلى محررين يجرأون أن يرفعوا

صوت الاعتراض ضد قيود الاستعباد . اللهم اليك محروها
وللأديان مصلحوها واللفنون محيوها . والشعر كفن جميل
يحتاج دائماً الى نسمة حياة جديدة تنعش عظامه القديمة .
وشعرنا العربي لا دواء له سوى ثورة تزعزعه من أركانه
فتقتلع كل ما عفن واثن من أصوله وتقيم على اتقاضه بناء
جديداً للريحة العربية الحرة .

وانى لأرى الغيوم تتلبد والفضاء يقيم والبرق يلمع
وأسمع زعزعة الريح عن بعيد وولولة الأشجار فى الغابات .
وانى لأشتم رائحة العاصفة وقد انتشرت فى الهواء ،
وليس ذاك اليوم بعيداً حين تقصف أول رعدة وتنفجر
أول سحابة لتجرف أوهامنا الشعرية وتعتقنا من قيود تكاد
تذهب بأنفس مافينا من المواهب والآمال . لا بل قد أتى
ذاك اليوم فانى لأقرأ فى ثر جبران خليل جبران مرثاة
للشعر القديم وقواعده ، وفى بعض أشعار « اليف » أرى
لحد القافية المتتابعة فى كل بيت من أبيات القصيدة .

واذا كنت قد أطأت الحديث فى هذا الباب فذاك

لأن قشعريرة تعتريني عند ما أفكر بالساعات والأيام
والسنين الذهبية التي تصرفها شبيبتنا داخل المدرسة وخارجها
في الاعتناء بحفظ كل ما يتعلق بالنظم من القواعد والقوانين
وفي درس قشور الشعر لآلبه . لأنني أرى أمتنا السورية
التاعسة مشبكة بالقيود من الداخل والخارج فيشقى على أن
نرانا نتمكن ما تقدر على حله منها بأيدينا وكفانا يا قوم ما نحمله
من تظلم الغير وتعديهم . وأخيراً لأنني أرى مواهب شعرية
حقيقية وقرائح حرة حية تذهب ضحية الأوهام التي ورثناها
عن أبناء البادية فتسحق تحت ثقلها أو تضع بين منعرجاتها
وسراديبها وبما اني لا أرى عندنا من المواهب ما نقدر أن
نستغنى عنه أو نفرقه على الغير أو تقدمه ذبيحة لعلماء الشعر
وأئمة اللغة فأنا أغار على كل ذرة منها تذهب سدى أو تموت
لأن جرائم الموت التي ورثناها عن أجدادنا تولد معها وفي
امكاننا أن نستأصل تلك الجرائم اذا شئنا .

وقد آن لنا أن نقف ولو مرة في ألني عام أمام هذا
السور الحديدي من الأوهام والتقاليد التي زفها إلينا

الأسلاف ونسأل ما هو وهل نحن في حاجة إليه . أن لنا أن
نكف ولو بوهة قصيرة عن حرق بخورنا امامه ليتبدد عنه
دخان الدهر فنراه في هيأته الحقيقية . ولو فعلنا ذلك
لا نقشعت عن أبصارنا غمامة رافقتنا دهوراً ولم نكن
تدري بها .

حبذا يوم نسمع فيه شاعرنا يوقع ألقانه على الأوزان
التي يختارها قلبه وتميل إليها نفسه دون أن يرى ذاته مربوطاً
بلوازم العروض والقوافي . حبذا اليوم يوم لا نعود نعبد
فيه الهيأة الخارجية أو نقيس الشاعر بقواعد الصرف
والنحو . وحبذا اليوم ندفن فيه الطائيات واللاميات
والعينيات والخاليات في غبار التاريخ ونفتح لشعرائنا مجالا
للخيال والتعبير لا تحصره قافية ولا يقيد روى !

أخي

أخي ! إن ضجَّ بعد الحرب غربىُّ بأعماله ،
وقدّس ذكر من ماتوا ، وعظّم بطش أبطاله ،
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا ،
بل اركع صامتاً مثلى بقلب خاشعٍ دائم
لنبيكي حظّ موتانا

*
* *

أخي ! ان عاد بعد الحرب جندىٌّ لأوطانه ،
وألقي جسمه المنهوك في أحضانِ خلّائه ،
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطانِ خلّانا ،
لأن الجوع لم يترك لنا صعباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

*
* *

أخي ! ان عاد يحرث أرضه الفلاحُ أو يزرعُ ،
ويبنى بعد طول الهجر كوخاً هدّه المدفعُ ،

فقد جفّت سواقينا ، وهدّ الذلّ مأوانا ،
ولم يترك لنا الأعداء غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا



أخي ! قد تمّ مالو لم نشأه نحن ماتماً ،
وقد عمّ البلاء ، ولو أردنا نحن ماعماً ،
فلا تندب ، فاذن الغير لا تصغى لشكوانا ،
بل اتبعنى لنحفر خندقاً بالرفش والمعول
نؤاري فيه موتانا



أخي ! من نحن ؟ لا وطن ، ولا أهل ولا جار ،
إذا نمنا ، إذا قمنا ، ردانا الخزي والعار ،
لقد خمت بنا الدنيا ، كما خمت بموتانا
فهاث الرفش واتبعنى لنحفر خندقاً آخر
نؤارى فيه أحيانا

الحنطة والنوان

(نظرة في الأيويات)

يتوهم البعض أننى أجد لذة كبيرة في التنديد بشعرنا
وشعرائنا والمجاهرة بفقرنا الى الأدب والادباء. يقولون إننى
لا أرى في حياتنا الادبية سوى جهتها السوداء ، واننى أحول
نظري عن كواكبها وشموسها، وان لا وتر عندي أضرب عليه
سوى وتر النذب ، وانى أسير في حقل حياتنا فلا تقع عيني
سوى على زوانه وأشواكه . وما حيلتى اذا كنت لا أرى
من حولى سوى الزدانب والشوك ؟ اذا شكوت فقرنا
فلا اعتقاد راسخ فى عقلى بأننا لن نسعى وراء تحسين حالتنا
حتى ندرك كل ما فيها من البؤس والظلمة والخنول . واذا
تدبت وجه يومنا القاتم فلا تنى أو من بان فينا من القوى
والمواهب ما يجعل يومنا باسماء ويبدل ظلمتنا بنور . وأظن
أن يومنا يتمخض بغد باهر لكن ولادة هذا الغد ستكون

محاطة بأوجاع مبرحة سببتها لعنات أمسنا . ونحن نشعر
الآن بهذه الاوجاع لكننا نحتملها كما تحتملها الوالدة التي
ستصبح إماما .

وفي « الأيوبيات » نرى صورة هذا الدور الانتقالي
الذي تنكلم عنه في ديوان رشيد أيوب قد لامس طرف
ليلنا أهداب جفنا . وهذه حلاوة الديوان في نظرنا .

من يطالع قصيدة « فرديناند وجيشه » أو « حنين »
أو « رثاء المطران هواويني » أو « وقفة على الهدسن »
وسواها ولا يسمع فيها أصوتا قديمة عرفناها وألفناها وملها
سمعنا ؟ أم من يقرأ أبياتا كهذه :

إذا مانسيم الشوق هز قريحتي تساقط منها الدر في روضة الشعر
أو —

لا شاع شعري بما احتوى دررا ولا تباهت بنظمي العرب
أو —

ألمت بصدرى كل نازلة إذا ألمت بصم الراسيات تززع
الخ

— من يقرأ مثل هذه الآيات ولا يدرك على الفور
أنها رنات أوتار قديمة في شعرنا أخذت والحمد لله تتقطع
رويداً رويداً؟

إذا سئمنا القديم ونبذناه فليس لأننا نعد كل قديم بالياً
فاسداً. ربما صعب على شاعر اليوم أن ينظم في موضوع لم
تتناوله قرائح الشعراء قبله ربما لم يترك لنا امرؤ القيس والنابعة
والمتنبي وأبو تمام وسوفوكلس وهوميروس ودانتي وشكسبير
وملتون ما نقدر أن ننظم اليوم فيه الشعر ندعوه جديداً.
لكن الشاعر الحقيقي من يري هذه الأشياء نفسها فيطردها
في أتون عواطفه ويمدها على سندان فريخته ويصقها بمصقل
أفكاره ثم يقدمها لنا في هيئة جديدة تساعدنا لترتفع فوق
اقدار الحياة وشناعتها إلى جمال البقاء وكما له . وأكثر شعرائنا
الذين يشكون قلة المواضع الشعرية ، ولذلك يعالجون المطروق
والمبتذل ، لم يدركوا هذه الحقيقة — ولعل أبناء الغد سيدركونها
إذا ضاقت بالشاعر الطبيعة كلها فلا يجب أن تضيق به
نفسه . نفس الشاعر وقلبه خزانة لا تفرغ لمن يعرف

اسرارها ويفكر في غوامضها . وهذه الخزينة هي التي لجأ اليها رشيد أيوب فاتحفنا منها ببعض هدايا ثمينة هي الخنطة في ديوانه وما بقي فروان . من هذا القبيل نعد قصيدة « خلياني » هنا نسمع روح شاعر حقيقي نظرت الى ما حولها فرأت نفسها « غريبة » ورأت « شأنها عجيبا » ليس يحلوها « سوي الليل الطويل » لذلك تطلب أن تنفرد بنفسها وتصبح بل تتوسل - « خلياني ! » . هذه الروح نفسها تحيا مع الطبيعة في كل أحوالها وأطوارها وتتشدد -

أحب الشتاء لان له ضبابا كهى ثقيل كحيف
وأهوى الربيع فانفاسه دواء لجسمى العليل الضعيف
وأصبو الى الصيف متأنسا بوحشة ليل الطويل الخيف
وتشتاق نفسى الخريف وقد تجنى على رمان الخريف
هذه النفثات من قلم الشاعر تكفر عن كل ما فى
الديوان من المساوى . تنسينا هنا بيتا ركيكا وهناك قافية
« محشوة - لضرورة الشعر » .

لا فلسفة فى الديوان تقدر أن نغيرها هنا انتباهاً خاصاً .

شاعرنا يكثر التأفف من أمور الحياة ولا يحاول أن يعطل
ولو أبسطها . ففكر بأمر الموت والحياة فلم يجد جوابا
سوى —

فلمعمرى ليس الا حلما ذلك الفردوس قصه الرواة
ثم عاد فوجد الأفضل أن يترك كل هذه الأمور
المهمة للخالق . لذلك ينصحنا —

خل الأمور لربها لا شئ في الدنيا عرف

هيئات تدرك ياءها مازلت تجهل ما الألف

دعى البعض رشيد أيوب « شاعراً رقيقاً » ولا ننكر

عليه « لقبه » لأن في بعض قصائده — كتلك التي يخاطب

فيها شبابه — من الرقة ما لا نراه في أشعار كثيرين من

أخوانه في الفن . لكن أهمية « الأيوبيات » — كما قلنا

سابقاً — في أنها تمثل الدور الحالى في حياة شعرنا — دور

الانتقال — إذ قد جمعت بين القديم المستهجن والحديث

المستحب . فيجب أن تطالع لما فيها من الرقة والحداثة .

النهر المتجمد

يأنهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريف ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فاثنتيت عن المسير ؟
بالأمس كنت مرثنا بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينه اللحد العميق
بالأمس كنت اذا أتيتك باكيا سليتني
واليوم صرت اذا أتيتك ضاحكا أبكيتني
بالأمس كنت اذا سمعت تهدي وتوجعي
تبكي . وها أبكي أنا وحدي ، ولا تبكي معي
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تهزج في الصباح ؟
هل أجمدتك كآبتي وسمعت ندبي والنواح ؟
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تنشد في المساء ؟
هل داهمتك مصائب مثلي فأخرسك الأسي ؟

ما هذه إلا كفان — أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يبحثو كئيهاً كلما مرّت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك نائراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق في الفضاء
فكانها ترثى شباباً من حياتك قد مضى
وكانها بنعيمها عند الصباح وفي المساء
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقاء



لكن سينصرف الشتاء وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكرر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى بأسرار البقا ثملى بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم

وتعود تسيح في مياهاك انجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك سترًا من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكيبك العاريين
والخور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويمس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب



قد كان لى ، يانهر ، قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أميال وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمس ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه — صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة — نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء ،
سيان نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء
(١٠ — مختارات)

نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى أحد .
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدوت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم

يانهر ذا قلبي . أراه — كما أراك — مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو — لا ...



أيليا أبو ماضى

شاعر قرض الشعر وهو فى الرابعة عشرة من سنه .
فأصبح والشعر فيه ملكة والقوافى عبيد له خاضعة يقودها
كيف شاء .

وُلد فى المحيثة بلبنان سنة ١٨٨٩ وهاجر الى مصر
سنة ١٩٠٠ ومكث فيها منصباً على المطالعة والدرس لنفسه
حتى سنة ١٩١١ فغادرها الى أميركا . وسكن سنسنتاتى . ثم
جاء نيويورك فى صيف عام سنة ١٩١٦ ليشغل بالادب وله
« ديوان أبى ماضى » . طبع الجزء الأول منه فى مصر
والثانى فى نيويورك .



الفقير

فنبأ بمقلته عن الاغفاء	هم ألم به مع الظماء
والحزن نار غير ذات ضياء	تمس أقام الحزن بين ضلوعه
ويخاله كلفاً بهن الرائي	يرعى نجوم الليل ليس بهوي
في وجنتيه أدمع «الخنساء»	في قلبه نار «الخليل» وانما
في نفسه، والجوع في الاحشاء	قد عضه اليأس الشديد بنابه
خلو تلك الدار في ييذاء	فأقام حلس الدار وهو كأنه
ما حيلة المحزون غير بكاء	يبكى بكاء الطفل فارق أمه
عمداً فيخلص من اذى الدنيا	حيران لا يدرى أ يقتل نفسه
والعيش لا يحلو مع الضراء	أم يستمر على الغضاضة والقذى
يا ليل طلت وطال فيك عنائي	طر دالكري وأقام يشكوليله
حتى ليؤلم فقدته أعضائي	يا ليل قد أغريت جسمي بالضنى
يفرى الحشى والهلم أعسر داء	ورميتنى يا ليل بالهم الذى
أتراك والأيام من أعدائي	يا ليل مالك لا ترق لحالى
رحماك لست بصخرة صماء	يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا

بن يا ظلام عن العيون فربما طلع الصباح وكان فيه عزائي

* *

وارحمنا للبائسين فانهم موتى ونحسبهم من الاحياء
انى وجدت حظوظهم مسودة فكأنما قدت من الظلماء
أبدأ يسر بنوا الزمان وما لهم حظ كغيرهم من السراء
ما فى أكرمهم من الدنيا سوى أن يكثرُوا الاحلام بالنعماء
تدنا بهم آمالهم نحو الهنا هيهات يدنو بالخيال النائي
بطر الانام من السرور وعندهم ان السرور مرادف العناء
انى لا حزن أن تكون نفوسهم

غرض الخطوب وعرضة الارزاء

* *

أنا ما وقفت كي أشيب بالطلا مالى وللتشيب بالصهبا
لا تسألونى المدح او وصف الدى انى نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حياتهم مدحاً وبأصون ماء حياتى
لم يفهموا بالشعر الا أنه قد بات واسطة الى الاثراء
فلذا كمالا قيت غير مشيب بالغانيات ، وطالب لعطاء

صاقت به الدنيا الرحبة فاثنتي بالشعر يستجدي بني حواء
 شقى القريض بهم وما سعدوا به لولا هم أضحي من السعداء
 نادوا علينا بالحبة والهوى وصدورهم طويت على البغضاء
 ألفوا الرياء فصار من عاداتهم لعن المهيمن شخص كل مرأى
 ان يغضبوا مما أقول فطالما كره الأديب جماعة الغوغاء
 أو ينكروا أدبي فلا تتعجبوا فالرؤمذ يؤلمهم طلوع ذكاء
 أو كلما نصر الحقيقة فاضل قامت عليه قيامة السفهاء

*
*

أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي الا لأنذب حالة التعمساء
 على أحرك بالقريض قلوبكم ان القلوب مواطن الأهواء
 لهني على المحتاج بين ربوعكم يمسي ويصبح وهو قيد شقاء
 أمسى سواء ليله وصباحه شتان بين الصبح والامساء
 قطع القنوط عليه خيط رجائه والمرء لا يحيا بغير رجاء
 لهني ولو أجدى التعيس تلهني لسفكت دمي عنده ودمائي

*
*

قل للغنى المستعز بماله مهلا لقد أسرفت في الخيلاء

جبل الفقير أخوك من طين ومن ماء ، ومن طين جبلت وماء
فمن القساوة أن تكون منما ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه في حين قد أمسى بغير كساء
أتنضن بالدينار في اسعافه وتجود بالآلاف في الفحشاء
أنصر أخاء فان فعلت كفيته ذل السؤال ومنّة البخلاء

*
*

اذوى اليسار وما اليسار بنافع ان لم يكن أهله أهل سخاء
كم ذا الجمود وما لكم رهن البلى وبم الغرور وكلكم لفناء
ان الضعيف بحاجة لنضاركم لا تقعدوا عن نصرة الضعفاء
أنا لا أذكر منكم أهل الندى ليس الصحيح بحاجة لدواء
ان كانت الفقراء لا تجزيكم فالله يجزيكم عن الفقراء

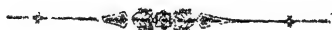


?

قال الغراب وقد رأى كلف الورى
وهيامهم بالبلبل الصداح
لم لا تهيم بى السامع مثله
ما الفرق بين جناحه وجناحى ؟
انى أشد قوے وأمضى مخلبا
فعلام نام الناس عن تمداحى ؟

امفرق الاحباب عن أحبابهم
ومكدر باللذات والأفراح
كم فى السوائل من شبيه للطلا
فعلام ليس لها مقام الراح ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها
السر كل السر فى الأرواح

والصوت من نعم السماء ولم تكن
ترضى السما الا عن الصلاح
حكم القضاء — فان تقمت على القضاء
فاضرب بعنقك مديّة الجراح !



متى يذكرون الوطن النوم

أفكر في أمسنا والغد	جلست وقد هجم الغافلون
وجاروا على الشيخ والامرء	وكيف استبد بنا الظالمون
وأن جهنم في مرقدى	نقلت اللواعج بين الجفون
فأرسلت العين مدرارها	وضاق الفؤاد بما يكتنم

وما صنع السيف والمدفع	ذكرت الحروب وويلاتها
شعوب لها الرتبة الارتفاع	وكيف تجور على ذاتها
وكانت تدم الذي تصنع	وتخضب بالدم راياتها
صروح العلوم وأسوارها	فباتت بما شيدت تهدم

على الموت والموت لا يرحم	نساء تجود بأولادها
عن الارض والارض لا تعلم	وجند تذود بأكبادها
فان عطشت فالشراب الدم	وتغذو الطيور بأجسادها

وفي كل منزلة مأتم تشق به الغيد أزرارها

لقد شبع الذئب والاجدال واقفرت الدور والاربع
فكم يقتل الجحفل الجحفل ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الالي بالوغى علموا وبئس الالي أججوا نارها

أمن أجل أن يسلم الواحد تطل الدماء وتفى الالوف
ويزرع أولاده الوالد لتحصدهم شفرات السيوف
أمور يحار بها الناقد وتدمى فؤاد اللبيب الحصيف
فياليت شعري متى نفهم معانى الحياة وأسرارها ؟

وحولت طرفي الى المشرق فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المشرق كما اجتمعت حول نفسى الغيوم
فاسندت رأسى الى مرفقى وقلت وقد غلبتنى الهموم

بربك أيتها الانجم متى تضع الحرب أوزارها؟

ويقتص الظبي في السبب	كما يقتل الطير في الجنة
بلا سبب وبلا موجب	كذلك يُجنى على أمتي
ويقتص منها ولم تذنّب	فختم تؤخذ بالقوة
وقد بلغ السيل زانها	وكم تستكين وتستسلم

مغاويرها ورجال الادب	وسيقت الى النطع سوق النعم
فقد قتلوه بسيف السغب	وكل امرئ لم يمت بالخدم
ولا رؤية الدم فيها الغضب	فما حرك الضيم فيها الشمم
ولما تبدل أطوارها	تبدلت الناس والانجم

بأنياه وبأظفاره	أرى الليث يدفع عن غيضته
إذا خشي الغدر من جاره	ويجتمع النمل في قريته
فيدفع عنها بمنقاره	ويخشى الهزار على وكتته
ولا الشاة تمدح جزارها	فلا الكاسرات ولا الضيفم

عجبت من الضاحك اللاعب	وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجل ناصب	فان أصبحوا الجأواللكهوف
وممن يصفق للضارب	وأحبابه يجرعون الختوف
متى يذكر الوطن النوم	كما تذكر الطير أوكارها



الياس فرحات

خصلة الشعر

خصلة الشعر التي أعطيتها
لم أزل أتلو سطور الحب فيها
عند ما البين دعاني بالنفير
وسأتلوها الى اليوم الأخير

خنت عهد الحب لا بأس فاني
فانا ما عدت أحيًا بالتمني
أشكر الله فإلا خلاف مني
راجعي سيرة حبي ، راجعيها
مكتف بالأثر الحلو الثمين
بعد ما منيتني عشر سنين
انني كنت لك الصب الامين
فهي نور ساطع للمستنير
وانها تعرف من أمرى الكثير
واذا صرت بك الريح سليها

هيكُلُ الحب تداعى وتراعى
كتبنا توقظ في قلبي الهياما
تاركا للعين أطلال الوفاء
انني أرنو الى الحظ احتراما
كلما نام على ذكر الجفاء
وأرى الأُسُطُر آثاراً تقيها
فأرى في الحظ انقراض الرجاء
غير في السماء من عبث العصور

وأرى الحبر وقد جف، شبيها بدم جف على بعض الصخور

واری فیما أرى شكلا مریعاً خصلة الشعر أراها فخال

جثة الحب ، وقد خر صریعاً

تحت انقاض عليها الدمع سال

فيفيض القلب من عینی دموعاً

وتغيب الروح عن دنیا الضلال

تلك آثار هوانا فانظر بها

تعلمی ماذا جنى ذاك الغرور

ودموع صنتها لا تذرفها

ليس يحو جرمك الدمع الغزير

ربطة القلبین حلها یداك ویدی تأبى امتهان الشعرات

لم يحركها الى الاثم جفاك فهي لا تعرف غیر الحسنات

لمسها مجموعة الشعر يحاکی لمس هذا الثغر تلك الوجنات

ان أعد يوماً الى الحى تريها مثلما سلمتها يوم المسير
هى كالطفلة فى حضن أبيها لا ترى الا حناناً وشعور

هى اصفى منك حباً ووداداً هى أوفى منك رعيّاً للذمم
هى فى غى الصبى لم تمانى هى لم تتبع هوى جر ندم
أنت قوضت من الحب العمادا أنت خنت العهد عمدا وهى لم
لم تراوغ ، لم ترى الصب فيها عسلا والحق فى القلب يثور
قد وفتنى وأنا أيضاً أفها فكلانا حافظ عهد العشير

كلما أذكر أيام صبا نا ولياليها اللذيذات العذاب
تصهر الاحزان فى قلبى الجنا نا وأقاسى كل انواع العذاب
فاذا أبصرت ان الموت حانا وتصورت نزولى فى التراب
نشقه من خصلة الشعر تليها قبلة تحمد ذياك السعير

فتخوض النفس بحر الانس فيها

ويزول الياس عن قلبى الكسير

یا حمامہ

یا عروس الروض یا ذات الجناح — یا حمامہ
سافرۃ مصحوبۃ عند الصباح — بالسلامہ
واحملى شوق فؤادِ ذی جراح — وهیامہ

*
* *

أُسرعۃ من قبل یشتدّ الهجير — بالنزوح
واسجی ما بین أمواج الأثیر — مثل روحی
واذا لاح لك الروض النضیر — فاستریحی

*
* *

رفر فی فی روضة «الافق الجمیل»^(۱) — وتغنی
وانظری محبوبتی عند الأصيل — وتأنی
فهی إن تسألك عن صبِ علیل — کان غنی

*
* *

(۱) تمرب اسم (بللواوریزتی) عاصمة ولاية میناس حیث
قضى الناظم نحواً من سنتین.

خبريها : أن قلب المستهام
وسليها كيف ذياك الغرام
فهيامى لم يعد فيها هيام

* *

ذكرها بأوقات اللقاء
حين كنا كل صبح ومساء
علّ بالتذكار لى بعض الشفاء

* *

فاذا ما أظهرت حباً ولين
فاجعلى ما بيننا عهداً مكين
وسليها رأيها فى أى حين

* *

واذا أبدت جفاءً وصدود
فاتركيها . انها فى ذا الوجود
حين يأتها زمان فتريد

* *

وغداً ان أقبل الفصل الخفيف — برعوده
ما الذى يبقى من الورد اللطيف — غيرعوده ؟
ان للحسن ربيعاً وخريف — فى وجوده



أليف

تؤنمة السرير

ظلام الويل قد جنّا . وبوق الهم قد رنّا
فم يا طفل ، لا بهنا غنى بات شبعانا

قتام اليأس غطانا فم ، لا عين ترعانا
إذا ما صبحنا حانا حسبنا الصبح أكفانا

ألا يا همّ ، يكفيننا لقد جفت مآقينا
لو أن الدمع يفسدونا أكلنا بعض بلوانا

بكي طفلي وما ناما وقضى العمر صواما
جنى الآباء آثاما عليها الله جازانا

بكي طفلي فلا يرضع ندياً درّها المدمع

نضاد ملى ولم يشبع وكان الدمع طوفانا

ظلام الليل قد أطفأ
فما للطفل لا ينقى
نجوماً تجذب الطرفا
أينى اليوم الحانا؟

من الألمان لا أدرى
أغنيها من القهر
سوى أنشودة الصبر
لطفل بات جوعانا

ملاك الرب فى الحلم
يناديه من النجم
يناجى الطفل كالأم
ألا نم ! وقتنا حانا

يناجيه بأيام
سيروى ماؤها الظامى
ستأتى ، خيرها طام
ويشقى النور عميانا

ويهديه الى قطر
ويأويه الى قصر
كثير النور والزهر
فيغدو الطفل سلطانا

فيؤتى بالذي يرغب من الماء كول والمشرّب
فيبقى منهما الاطيب لأُم صبرها خانا

أصوتى ذاك قدغنى ؟ أقلي ذاك قد أنا ؟
كفى ندباً ، كفى حزناً ! فقلب الطفل ما لانا

هزير الريح ما يسمع وندب الروح ما أسمع
كلانا منصت يخشع الى الاصوات حيرانا

ظلام الليل قد أطبق فم يا طفل لا تقلق
يعود النور والرونق اذا ما الله أبقانا

النهاية

كفّنوه !
وادفنوه
واسكنوه
هوّة اللحد العميق .
واذهبوا لا تندبوه، فهو شعب
ميت ليس يُفَيّق

خَلَّلُوهُ
قَتَلُوهُ
حَمَلُوهُ
فوق ما كان يطيق .
حمل الذل بصبر من دهور
فهو في الذل عريق

هتك عرض ،
نهب أرض ،
شقق بعض
لم تحرك غضبه .
فلماذا نذرف الدمع جزافاً ؟
ليس تحيا الخطيه .

لا وربى !
ما الشعب
دون قلب
غير موت من هبه .
فدعوا التاريخ يطوى سفر ضعف
ويصنى كتبه

ولتاجز
فى المهاجر

ولتفاخر
بمزايانا الحسان.
ما علينا ان قضى الشعب جميعاً —
أفلسنا فى أمان ؟

رب نار
رب عار
رب نار
حركت قلب الجبان —
كل ذي فينا، ولكن لم تحرك
سأكنّا الا اللسان.

أمين مشرق

في الليل

بعد ما تسرع ساعات الضجر ذاهبات بنهار الكمد
أتسلى فيك ياليل السمر أنت سلوى البائس المنفرد

أنا ياليل غريب مبهم وكذا أنت بهيم وغريب
وعجيب في الحشا ما اكنتم والذي تكتمه أنت عجيب
وكلانا قد براه السقم وكلانا ليس بأسوه طيب
قد تماثلنا شفاء وكدر وتشابهنا بصمت أبدي
رب صمت ضم معنى وخبر لذكاء العاقل المتقد

اسرعت رجل الاسى تدنو الى

فسمعت من خوفها نفسى اليك

وطما يومي بأجزائي على فمى قلبي بأشجاني عليك
 آدمماً أسكبها من مقلتي على فيهاراحتى ، في راحتك
 ولواني أسطعت دمي ما انتثر واصطباري قدة من جلد
 ولواني أسطعت سري مظهر بعد ما كتمته في كبدي

خلت قلبي ناسياً عهد الهوى
 وظننت الوجد من صدري ذهب
 فتشأخت على أهل الجوى وتضاحكت افتخاراً وطرب
 ولنفسى قلت إن مال السوى للتصابي فلك المجد طلب
 فاذا بي نسمة عند السحر سرحت مثل لهات الولد
 هف قلبي للقاهها وطفر طائشاً من وجده لا يهتدى

آه أحلام الصبا كم حملت بجناحيها نفوس العاشقين
 آه أوهام الصبا كم حولت
 عن طريق المجد مجرى السالكين
 آه أشواق الصبا كم قتلت بجواها من بنات وبنين

مات عيشى قبل موتى واندثر
بين عينين وشعر أسود
ونهود فى قدود كالتمر
وخدود فوقها الورد الندى

مصت الاشواق روحى مثلما
مصت الريح عبير الترجس
وأنا بالذكر أحيا ألما
شاديا فيما بقى من تقسى
« جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس »
يالالى الحب فى ضوء القمر
يا مجالى انسى المبتعد
ذهبت لم يبق لى الا صور
تراءى بعدها فى خلدي

فى دى للحب شوق وحنين
وبنفسى للمعالى نزعات
فهو لا يترك لى الا الأنين
وهى لا تورث غير الحسرات
ايها، الليل اذا حظ الحزين ؟
أيها الليل، اذا سر الحياة ؟
بين آلام ووجد وخطر
نتمنى أننا لم نولد ؛
راح أمسى بشبابى ونقر
ياترى ماذا الاقي فى غدى

يا أمى

يا علة كيانى ، ورفيقة أحزاني . يارجائى فى شدتى ،
وعزائى فى شقوتى . يالذتى فى حياتى ، وراحتى فى مماتى ،
يا حافظة عهدى ، ومطيبة سهدى ، وهادية رشدى ، يا صاحبة
فوق مهدى ، وباكية فوق لحدى — أمى وما أحلاك
يا أمى !

إذا تركنى أهلى فأنت لا تركينى ، وإن ابتعد عنى
أحبائى فأنت لا تبتعدين ، وإن تقمت على جميع الحياة فأنت
تصفحين وترحمين . أنت يامسكنة وجعى وألمى ، ومبيدة
بؤسى وهمى ، أنت وما أصفاك يا أمى !

على بساط الأوجاع ولدتنى ، وبأيدى الآلام ربيتنى ،
وبميون الاتعاب رعيتنى ، وبصدر المشقات حميتنى . ثم
كبرت فقلوت آلامك ، وهجرت وسلوت أيامك .
هكذا نسيت رحمى ، واحتقرت دمي . فما اعقنى ، وما
أوفاك يا أمى !

قد غبت عنك يا امى فغاب عن عيني وجهك الباسم
 بملاحه الرقيقة الرزينة، ومعانية الدقيقة الحنونة . وتراكت
 على رأسى هموم الحياة بضجيجها الهائل فضعضت فكري،
 وزلزلت قلبي . وتقاذفتنى أمواج المتاعب والشقاء ففرت
 فى لجج طامية، وظلمات داجية، وبعينين غشى عليهما
 الرعب نظرت من أعماق قنوطى فرأيت وجهك اللطيف
 الثابت يتسم الى من الاقصى البعيدة فبكيت وبكيت
 وصرخت « يا امى ! »

آه ما أقسى العربة، وما أمر الوحشة . قد كرهت
 البعاد يا أمى واشتأقت نفسى ماضيها الأمين . قد كرهت
 التمشى بين القصور الفخمة والمباني الشاهقة واشتأقت قلبي
 الى بيتنا الصغير المنفرد . قد كرهت روائح العطور الفاتحة
 من التماثيل المتخطرة فى « برودواى » واشتأقت حواسى
 الى رائحة الامومة المنتشرة من فسطانك العتيق . قد كرهت
 نيويورك وكرهت أميركا وكرهت العالم ولم يبق لى فى الحياة
 الا لك — الا لك — يا امى !

في المساء عندما انطرح على فراشي الخشن القاسي
أذكر يدك اللطيفتين الناعمتين . وفي الليل لما تمتزج
أفكاري بأبحرة الأحلام أشعر بقدميك الصغيرتين ينقران
الأرض حول سريري . وفي الصباح افتح عيني لأراك فلا
أرى غير جدران غرفتي السوداء ، ولا سمعك ، فلا أسمع
غير أصوات الغرباء . وفي النهار أمشي متلفتاً بين النساء
مفتشاً مسائلاً . أيتها النساء هل رأيتم أمي ؟ »

جاء الكلاب تجلس في احضان امهاتها ، وفراخ
الدجاج تختبئ تحت أجنحة امهاتها ، وغصون الاشجار تبق
معاقبة امهاتها . وأنا — أنا وحدي — بعيد عنك مشوق
إليك يا أمي .

إذا مت يا أمي ، إذا قتلتني و جدى ، ودفنت آمالي في
هذه الأرض القاسية الغريبة ، فاجلسي عند الغروب قرب
غابة السنديان وأصغني . هناك روعي امتزجت بنسيمات الغابة
وأشجارها يرتلن بهدوء تمايلات مرردات « يا أمي ! يا أمي !
يا أمي ،

دموع الامل

أتانى الزمان على غفلة فأطفأ من عيشتى نورها
وماتت لأحيا الفتاة التى رأيت ولم أر لى غيرها
فكيف أ كففكف من أدمى وحزنى يا كل فى أضلئى

صغيرين كنا كفرخى حمام نعيش بظل الصبى الناضر
فنلعب آنا وآنا ننام وزندى على صدرها الطاهر
يلعب شعراتها أصبعى وقلبي من سكره لا يبعى

ويا ليلة بثس من ليلة يقطع قلبي تذكارها
أشدت عليها يد العلة وغابت من العين أنوارها
حنوت على جسمها الموضع وناديت ربى فلم يسمع

وماتت وقد همست مثلاً يسر النسيم باذن الأراك

وقالت وقد نظرت للسماء هناك بعيد التناهي أراك
فلا تبك يأساً ولا تجزع فامات حبي ولم يهجم

أليلى لقد مات صبرى متى يعود التلاقى ويحيا الأمل
وراح الربيع وجاء الشتا وليل حياتى طويل الأجل
وضاق الوجود على موضعى وسد بوجهاته الأربع

أليلى حزنى شديد صميم وعقلي سقيم وعيشى أليم
وجسمى أضعف من ظله فما عدت أقوى على حمله
وعهدك فى القلب حى معى وصوتك ما زال فى مسمعى

يرى الناس صمتى ولا يعرفون فيحتقرون فؤادى الودود
فأمشى وأتركهم يهزأون لأننى غريب بهذا الوجود
أخبنى نفسى ولا ادعى فليس بهذى الدنى مطمعى

أطارد همى بلحن الوتر ألوذ بأناته الواهيه
(١٢ — مختارات)

وأنظم شعري كنظم الدرر فلا اللحن يجدى ولا القافيه
ولا كل هذا الوري مشبعي وأنت ذهبت فلا ترجعي

وحقك لولا الرجا بالخلود لذبت على يأسى المحرق
ولكن لي أملا أن يعود صفاء الحياه وأن نلتقى
سأحمل حزني الى مضجعي واجرع من كوبه المترع

فياروح ليلاي ياراحتي وسوسنتي بين شوك البنات
وياكل حبي ويامنيتي ويانور نفسي بليل الحياه
سلام على طهرك الارفع ويارب عجل على مصرع



أردية الآباء

(باختصار)

الى اخوانى الشبان واخوانى الشابات الناظرين الى
الحياة الجديدة بعيون المحبة والشوق — الى كل فتى وكل
صبية ينظران الى أثواب الآباء بازدراء واشمزاز والى كل
قديم بكره ونفور — الى العقول المستنيرة التى تطالب الخروج
من ظلمة الأوهام — الى الارواح المرتعشة حيننا الى الحرية،
المتعطشة الى يناييعها العذبة — الى النفوس الباسلة، الكارهة
جلجة السلاسل، المتمردة على أجيال العبودية — الى جميعكم
أيها البواسل ارفع صوتى بامل وافتخار وانادى — سيروا !
أمامنا عقبات كثيرة، ولكنها ستذوب أمام العزم
الذى لا يذوب . وطريقنا طويلة طويلة فليكن صبرنا طويلا
طويلا ولتكن هممنا شديدة شديدة . لا تلتفتوا الى خلف ولا
تحاولوا اصلاح القديم فانه أصبح للموت بل اجتهدوا فى

اصلاح نفوسكم وفي تقوية ذواتكم لاستقبال الحياة - حياة
الجديد - حياة القوة .

هبوا ! وللنفذ عنا غبار الخضوع والطاعة العمياء .
أنت أيها الفتى ، وأنت أيها الفتاة اللذان ربط الحب قلبيهما
فتعاهدا على الزواج ، لماذا تخضعان لارادة والديكما فتخرج
أنت حياتك بحياة لم توجد لها وتلتصقين أنت برجل لم يخلق
لك ؟ لماذا تقتلان الحب لتحييا وهما يدعى الطاعة الوالدية ؟
وأى فضل تحرزانه فى هذا العمل ؟ وأنت ، أيها المرأة
المظلومة ، التي تحمل « جزدانها » قارعة الأبواب من
صباحها الى مساءها لتجمع بضعة ريالات ينثرها زوجها على
مائدة القمار ويرجع ليلا لمجازاتها بالشتم والضرب ، لماذا
لا تتركين هذا الزوج الفاسد وتبصقين فى وجهه ووجه كل
مذهب وشريعة تربطك به الى الابد ؟ وأنت ، أيها الصبية
التي زوجها صغيرة بكهل لاتميل اليه فتركته وآلت على
نفسها أن تعيش حياتها وحيدة لئلا يسلفها الناس بالسنتهم
البذيئة ، لماذا تبعدين عنك شابا يعبدك وتبعدينه اكرا

لثلك الألسنة ؟ ولماذا لاتدوسين كل قلنسوة ولحية تقفان
بينكما وتفقتين حصرا في عيون ترى الحقيقة عاراً وزنى ؟
قد بدأت فلماذا لاتكملين ؟ أنتم ، أيها المظلومون جميعكم
لماذا لاتكسرون هذه القيود وتحطمون هذه السلاسل
القديمة وتمرحون في فضاء الجديد وتعصمون في معازل
القوة ؟ ؟

انظروا - ان كثيرين من ذوى العقول القديمة
والنفوس الذليلة الخاضعين لضلال العصور المظلمة سيرمون
هذه السطور بالجهالة والكفر ويضربون بها عرض الحائط
باحترار وغضب وعداء . أنا لا أبالي ، لان سطورى موجهة
اليكم واليكم تذهب . هؤلاء القوم أصبحوا على حافة القبر ،
فلا يخيفكم منهم وعيد ولا يفرم فيهم سكوت . اذا ضحكوا
منكم فاضحكوا منهم . وان نصحوكم فسدوا آذانكم ولا
تلتفتوا . وان وقفوا في طريقكم فدوسوهم وسيروا . انما هم
للعدم وأنتم - للجديد - للقوة

سيروا يا اخوتي ! اننى أرى الثورة تقترب . كلما نظرت
الى هذه الوجوه المتشنجة والسحنات المتقبضة وكلما تأملت
بهذه العيون الحادة الملهبة الساكنة تمثل لى من ورائها
أرواح هائجة كالبحار ، متدفقة كاللجج ، ونفوس ملتهبة
كالبراكين ، متواثبة كالصواعق ، وسمعت دمدمة بعيدة
من أطراف الآفاق تقترب وتنجلي رويداً رويداً فأقول فى
نفسى —

ثورة ! طوبى للمتمردين ! طوبى للأبطال !

من وراء الجثث المتدلية من حبال المشانق — من
وراء الأجساد الذائبة على نيران التوجيع — من وراء
الشراذم المتبددة فى جميع أقطار الأرض لا تحمل راية ولا
تعرف وطناً — من وراء هذه الأيام السوداء والليالى
الخيفة المحشوة بالمهلك — من وراء جميع ذلك أرى طلائع
صبح ناصع البياض تبصبص فى جبينه أسلاك من نور شمس
لامعة مبشرة باقتراب نهار ساطع . ووسط هذا البهيق
الجميل المهيّب أرى عسكرياً من الشبان المفتولى السواعد

والصبايا المورّدات الخدود والأولاد الممتلئين نشاطاً وحرّة
يرفعون رؤسهم بكبر وافتخار ويصيحون بأصوات تكاد
تطبق الأفق منشدين :

من تردى برداء مارآه لأبيه
نعمةُ الله عليه وعلى كل بنيه

وليم كاتسغليس

قصة أم

١

تزوجته بلا حب ، ولكنها لم تذكره على قبوله
فكانت بعملها هذا كألوف من سواها ، وكان كألوف غيره
استمالها زخرف الزواج ، وأغررتها الثروة
وأكثر من هذا كله — جذبتها عاطفة الأمومة
عاطفة تولد مع الطفلة ، وتترع مع الابنة ، وتنمو مع الفتاة
فبين أخوها يلعب بالأكر تعانق الابنة العوبتها ،
فتنتقل من الاعتناء بأخر العوبة الى العناية بأول ولد

وهو استماله فيها الجمال والتقوى والطهارة .

فالمرء يميل إلى ما ليس فيه

وما أكثر ما يقتزن النمر المفترس بالحمل الوديع

وما أكثر ما تجمع الوسادة الواحدة فوق يياضها للناصع

قدارة الوحل وطهارة الزينة النقية

٢

انتهت الاحتفات بالعرس وهنأها الناس .
وأصبحا في عرف شريعة البشر شخصا واحدا .
ودخلت الفتاة مضجعا لم يدفعها اليه ميلها .
واحتملت قبلة لم تتولد الرغبة اليها في نفسها ،
وعانقها زند لم يضطرب له قلبها ،
ولمستها شفتان لم يرتجف لمسها جسمها .
وهكذا تم تمثيل رواية الحب . وهي هي بطة روايتها
فلم يصادف ذلك التقليد صدى في اعماق أحشائها .
فكانت كالقربان على هيكل مولوخ الفظيع
تلهم النيران جسدها ، والناس من حولها فرحون ،
لأنهم يرون الزخرف الخارجى ، والقلوب لا يرون .
فشعرت بفراغ من حولها كأن الدنيا خلت من ساكنيها .
كانت تشبع من الاكل ، ومن النوم ، وتلبس أنخر اللباس .
ولكن قلبها عطشان ونفسها جائعة قد ملاًها اليأس .

اذ ترى زوجها يشتهي الجسم منها ولا يبالي بالنفس
فكانت كل قبلة منه كأنها طعنة ، وكل ضمة كأنها ذلة
وهكذا وقفت فتاة في مأتم شبابها ،
وصبية باكية فوق ضريح صباها .

٣

وكانما الطبيعة ندمت على قسوتها .
وأرادت محو أثمها والتعويض عن ظلامتها .
فأيدت السنة الأزلية والقاعدة الأبدية .

وأشعرت الفتاة بازدياد الحياة فيها
تغيرت مجاري أفكارها المظلمة السوداء ،
واقشعت الغيوم المتلبدة في جو حياتها .
اذ وجدت الحب ! ... حبه لذاتها ؛
تلك الذات التي ستلد ذاتا ؛

*
* *

ولما جاء العصبى بين الابتسامة والألم .

رفعت رأسها من الوسادة لتراه .
فشعرت أن الحياة جميلة بمرآه .
وصبت كل ما في نفسها من السكنوز المكنوزة
وما في قلبها من العواطف المخزونة
فوق ذلك الرأس الصغير الأضلع !

٤

تبسمت لها الحياة، لابل ضحكت
وأصبحت شمسها تشرق من ثغر الطفل ،
وسعادتها تتدفق من أصابعه الصغيرة .
ولكن واحسرتاه ! ماهذه النعمة المتلبدة
في جو حياتها الجديدة ؟
ويح المرض ! ألم يجد سوى طفلها ؟
هي ليس لها في العالم سواء
فما بال الاله يجربها هذه التجربة ؟

أسرع الأطباء وبذلوا في معالجته العناية

ولكن المرض السارق كان كل يوم فى زيادة .
وكانت الأم كل يوم تقترب شبرا من القبر !
ثم جاء يوم اشتدت فيه وطأة الداء .

وحرار فى أمرهم الأطباء

فدعوا لنجدتهم أستاذا شهيرا

فتح له العلم أبوابه المغلقة ، وكشف له أسرار الغامضة

جاء الاستاذ وفحص الطفل مليا

ثم نادى الاب واختلى به برهة .

ولما عاد الى سرير الطفل المحتضر

حيث الأم جاحظة العين ، محلولة الشعر

تنظر الى شفتيه لتقرأ عليهما الموت أو الحياة

كان جبين الأستاذ الشيخ مقطباً

فعمطف على الام وقال لها متأثرا —

« يا ابنتى . لم يبق محل للأمل الكاذب .

« هذا الطفل سيعود عن قريب الى صانعه

« وانصح لك ألا تعرضي طفلا آخر للعذاب

« قبل أن يبرأ زوجك من علته ! »
فصاحت الفتاة وقد دارت من حولها الأرض
« زوجي ؟ ماهي علته ؟ وأي دخل لعلته بطفلي ؟ »
فقال الطيب . « أن زوجك مصاب « بالداء »
ومن كانت هذه علته يحني على ولده ونسله ! »

٥

لما عادت الفتاة الى رشدها كان الغلام قد قضى !
وأبوه واقف الى جانب السرير ، مطأطأ الرأس .
فنهضت ومشت الهويناء الى حيث زوجها
ولم تك في عينها دمة ، لأن الدمع كان في قلبها .
دنت منه فزاد رأسه انحناء .

وعلت جبهته حمرة كانت قد محتها السنون .
فقالته بهدوء كأن الجحيم لم يك في احشائها .
« يارجل . أنت قتلت سعادتي وهنائى ؟ »
« وجعلتني أمة بلا ارادة في مضجع العار ! »
« وسلبتني حق ارثي من الطبيعة أمى ! »

« ولكنى لم أشك منك أو اليك ولم احتج .
« ولكن .. ولكن .. بأى حق تقتل طفلي ؟
« ماذا جناه نحوك ملاكى هذا . يا قاتل ؟
« بماذا أساء اليك حتى ذبحته يافاتك ؟
« ماذا فعل حتى خنقته بيدك أيها الوحش ؟ »
ثم اختنق الكلام فى حلقها
وخرجت عيناها من حدقتيهما .
فضحكت ... ضحكت مقهقة . وتركت الغرفة .

٦

هنالك فى المقبرة ضريح صغير .
لاتدبل الزهور من حوله
لأن يد الحبيبة تحفظها زاهية زاهرة
زر الضريح الصغير قبيل الغروب
تجد هنالك امرأة كلما الشيب بثلوجه
جالسة على مقعد خشبي
كأنها تمثال الحزن الابدى

﴿ فهرس الكتاب ﴾

صحيفة	صحيفة
١٢١ من أنت يا نفسي	مقدمة الكتاب
١٢٤ الشعر والشعراء ١٣٦ أخي	(جبران خليل جبران)
١٣٨ الحنطة والزوان	١ ترجمته ٣ يوم مولدى
١٤٣ النهر المتجمد	١٢ بالامس ١٥ مناجاة أرواح
(ايليا ابو ماضى)	٢١ يا صاحبي ٢٥ مات أهلى
١٤٧ ترجمته ١٤٨ الفقير	٣١ أغنية الليل
١٥٢ ؟ قال الغراب :	٣٢ و ٣٣ صفحة من المواقب
١٥٤ متى يذكر الوطن النوم	٣٤ أيتها الارض
(الياس فرحات)	٤٠ السم في الدسم
١٥٨ خصلة الشعر ١٦١ يا حمامة	٤٨ المخدرات والمباضع
(اليف)	٥٩ مستقبل اللغة العربية
١٦٤ ترنيمة السرير ١٦٧ النهاية	٧٧ تذكارات محب
(أمين مشرق)	(أمين الريحانى)
١٧٠ في الليل ١٧٣ يا أمي	٨١ ترجمته ٨٣ المدينة العظمى
١٧٦ دموع الامل	٨٦ الجوع ٩٩ ربح سموم
١٧٩ أردية الآباء	(ميخائيل نعيمة)
(وليم كاتسفليس)	١٠٥ ترجمته ١٠٧ الرواية التمثيلية
١٨٤ قصة ام	١١٨ أنموذج من الرواية

ديوان عبد البر بن أبي عمير

لا يعرف الحب إلا من كوى بناره ولا يستطيع أن يحلل
أسرار العشق وخواطر العشاق إلا من حشر في زمرة هم فبات
مسهداً لا يهدأ جنبه لفراش ولا يذوق طعم النوم إلا غرراً .
ومن أشهر العشاق وأكثرهم بضاعة في ذلك (ابن الدمينه) الذي
يعد ديوانه من أرقى دواوين العرب التي مثلت الحب الطاهر إذ
هو الذي يقول لحبيته : —

وإني لأستحييك حتى كأنما على بظهر الغيب منك رقيب
وقد طبعنا هذا الديوان طبعاً متقناً وجعلنا ثمنه خمسة قروش
صاغ وهو يطلب من ناشره محي الدين رضا ومن عموم المسكاتب
الشهيرة

